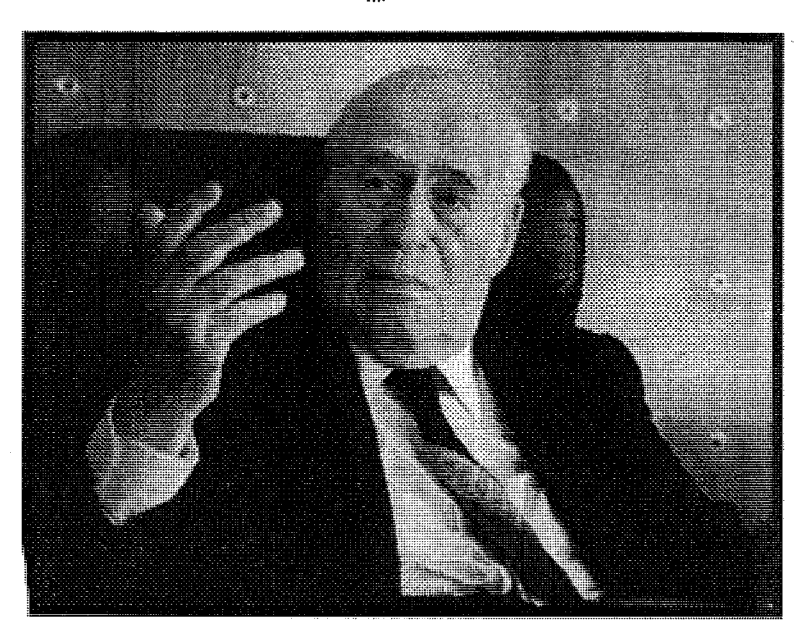


قطاع الثقافة

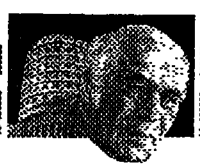
مصطفى أمين



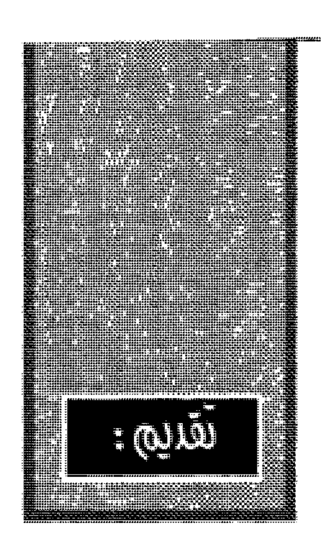
.. فكرة لا تموت

محمد مصطفى

المحتويات



صفحة



الأستاذ.. لا يموت!

بقلم : ابراهيم سعده

لاأصدق أن أستاذ الصحافة العربية قد سقط القلم من يده، وأسلم الروح إلى خالقها. لاأصدق أن «فكرة» لن تظهر ولن تنشر فى الصفحة الأخيرة من «أخبار اليوم» و«الأخبار».

ولا أريد أن أصدق - أيضا - أن العملاق الذى أنشأ وأسس، مع توأمه على أمين، دار أخبار اليوم فى سنة ١٩٤٤، وجعلا منها مدرسة تخرج فيها الآلاف من

الصحفيين الذين يعملون - حاليا - فى معظم الصحف والمجلات المصرية والعربية، لن يستطيع - بعد الآن - أن يحضر إلى داره فى ٦ شارع الصحافة بالقاهرة، فى تمام الساعة العاشرة من صباح كل يوم ويستمر يعمل، ويستقبل ضيوفه،ويجرى اتصالاته التليفونية، ويتلقى مكالماته ، حتى الساعة الواحدة، ليعود إلى منزله حيث يمضى عدة ساعات قليلة ليعود مرة أخرى فى الساعة السادسة مساء إلى مكتبه، حيث يظل يعمل حتى الثامنة وأحيانا التاسعة.

هذه العادة لم ينقطع مصطفى أمين عنها إلاّ عندما يضطر إلى السفر إلى الخارج،أو إلى الاسكندرية. وحتى فى هذه المرات القليلة التى كان يغيب فيها مصطفى أمين عن مكتبه، فلم يحدث أن انقطع عن كتابة مقاله الأسبوعى «الموقف السياسى» - فى صحيفة «أخبار اليوم»، كما لم يحدث أن انقطع - فيما بعد - عن كتابة عموده اليومى «فكرة » الذى تولى كتابته فى الصفحة الأخيرة من «الأخبار» اليومية و «أخبار اليوم» الأسبوعية بعد رحيل كاتبه المرحوم على أمين.لم يتوقف أستاذنا الكبير عن كتابة «فكرة» حتى آخر يوم فى حياته. حتى عندما كان مريضا فى فراشه، يمنعه الألم من الجلوس أو الكتابة،كان يملى على السيدة الفاضلة قرينته المقال رغم اعتراض الأطباء،

فكان يرد عليهم معترضا بقوله:

-(إننى أستطيع أن أتحمل المرض والألم، لكن لا أتحمل أن أرى «الأخبار» بدون «فكرة». إن استمرار الكتابة هو علاجى الوحيد ضد كل أمراض الدنيا،فلا تحرمونى منه حتى يساعدنى على سرعة الشفاء) .

المرة الوحيدة التى اضطر فيها مصطفى أمين إلى الانقطاع طويلا عن الدار التى أسسها، وعن مكتبه الذى يعشقه، كانت عندما أمضى فى السجن تسع سنوات كاملة من سنة١٩٦٥ حتى ١٩٧٤ . الرئيس الراحل أنور السادات هو الذى أفرج عن مصطفى أمين، وهو الذى سمح لتوأمه على أمين بإنهاء غربته فى لندن والعودة لاستقبال أخيه - بعد السنوات التسع الصعبة - على باب السجن واصطحابه إلى شقته المهجورة في الزمالك.

لم يكتف الرئيس الراحل أنور السادات بذلك،وإنما - لرغبته فى تعويض أعظم وأكبر صحفيين عرفتهما الصحافة المصرية والعربية- قرر تعيين على أمين رئيسا لتحرير الزميلة « الأهرام» وإعادة مصطفى أمين إلى دار أخبار اليوم التى كان إحسان عبدالقدوس يرأس مجلس إدارتها وقتذاك.

ولم يستمر هذا الوضع أكثر من أسابيع معدودة،وأصدر السادات - بعدها - قرارا بتعيين إحسان عبدالقدوس رئيسا

لمجلس إدارة «الأهرام»،وتعـيين على أمين رئيـسـا لمجلس إدارة دار أخبار اليوم،وتعيين مـصطفى أمين رئيسا لتـحرير صحيفة «أخبار اليوم» الأسبوعية،وهكذا عاد الأخوان أمين ـ بعد أكـثر من تسـع سنوات ـ إلى بيتـهمـا الحقيـقى الذى أسسـاه وشيداه وارتفعـا بطوابقه إلى عنان السمـاء،وأطلقا عليه اسم:دار أخبار اليوم.

وتسلم الأخـوان أمين دارهما من زميلـهما وصـديقهـما إحسان عـبدالقدوس الذى حافظ على الأمـانة، ويرجع إليه الفضل فى تحـقيق القـفزة التوزيعـية غيـر المسبـوقة فى تاريخ الـصـحـافـة المصـرية والعـربيـة والشـرق أوسطيـة،واسـتـطاع أن يخـتـرق ـ بتـوزيع صـحـيـفـة «أخبار اليوم» الأسـبوعية ـ حاجز المليـون نسخة، ومنذ هذا اليـوم..عـرفت إصـدارات دار أخبـار اليـوم بأنهـا: «رائدة صحافة الملايين» .

عاد الأخوان أمين إلى دارهمـا ليعطيا لإصدارتهـا دفعة قـوية من الدعم والحمـاسة، لتـواصل نجاحـاتها واتسـاع انتشارها .

كـان مـصطفى أمـين وعلى أمين يـخططان لمـزيد من الاصدارات الجديدةوالمتـنوعة،خاصة بعد أن توقـفت مجلة «هى» ومن قبلها مجلة«الجيل» عن الصدور،ولكن القدر لم يمهـل على أمـين فـأسـلم الروح قـبل أن يصـدر

«آخرلحظة»..أول صحيـفة «تابلويد» من سلسلة الإصدارات الأسبـوعيـة المتخصـصة التى لم تر النور إلاّ بـعد سنوات عـديدة تالية،عـندما تسلم الـراية الأستـاذ سـعيـد سنبل ـ رئيس مجلس الإدارة السابق ـ الذى أصدر صحيفة «أخبار الرياضة » سنة١٩٩٠،ثم توالت الإصدارات بعد ذلك.

إن أبرز سمات دار أخبار اليوم، وأكـثرها أهمية، هو أنـها تتقـدم إلى الأمام سنـة بعد أخرى،بـحيث يتـحقق الشـعار السـهل المـمـتنع الذى تـعلمناه ودرسـناه وتناقلـناه عن مـؤسسى وصـاحبى هذه الدار ـ الأسـتاذ مـصطفى أمين والأستـاذ على أمين ـ الذى يقول: «دارنا اليـوم أفضل من الأمس، وأقل من الغد» .

ليس مـعنى أن دار أخبـار اليـوم فى التسـعـينات أكثـر نجاحا وأرباحا عنهافى فتـرة السبعينات أو الثمانينات، أن أعـضـاء مجلـس الإدارة فى الفـترة الحـاليـة أفـضل من زملائهم الذين سـبقوهم،وإنما معناه الوحيـد هو أن القلعة الصـحفـية العـملاقـة ـ التى يقوم أبناء دار أخـبار اليـوم بتشـييدها ـ تحتـاج إلى جهد متـواصل ومستمـر تتوارثه الأجـيال، ويتـحمل كل جـيل مسـئوليـة الانتهـاء من بناء وتشييـد جانب من مرتفعات وطوابق تلك الـقلعة، وبالتالى فيجب ألاّ يتصوّر البعـض أن ماتحقق اليوم جاء من فراغ، أو أن الذين سبقـونا أهملوا،أو تقاعسـوا عن أداء واجبهم،

لأن الحقيقة غير ذلك تماما. فمجالس الإدارات السابقة، قام ـ الواحد بعد الآخرـ باستكمال وتطوير ماسبق تشييده وبناؤه.

إن الذى يحق له أن يقول إنه أسس وشيد وارتفع بدار أخبار اليوم،وخطط حاضرها ومستقبلها، هما: مصطفى أمين وعلى أمين، أما من جاء وتولى المسئولية والقيادة بعدهما..فهو لم يفعل أكثر مما كان منتظرا منه.

ليس فيما قلته مايشين أحدا أو يقلل من جهد وعطاء كل من تولى منصبا إداريا أو قياديا فى دار أخبار اليوم .. منذ إنشائها فى سنة ١٩٤٤ وحتى لحظة كتابة هذه السطور، العكس صحيح، فإن تحقيق الهدف القديم وتشييد القلعة العملاقة،ماكانا يمكن أن يتحققا لولا جهد، وعرق،وفكر، وعطاء، وانتماء المئات والالاف ـ من عمال وإداريين وصحفيين ـ الذين أفنوا أعمارهم فى خدمة دارهم المعروفة باسم: «أخبار اليوم».

إن المشروعات الاستثمارية الضخمة ـ التى نقوم بتنفيذها فى هذه الأيام ـ لم تأت من فراغ، ولا أزعم إننى وحدى الذى فكرت فيها،أو وحدى الذى حددت تفاصيلها. إن الفضل الأول فى هذا كله يرجع إلى مؤسس أخبار اليوم الذى فقدناه بالأمس.

مازلت أتذكر زيارتى للأستاذ مصطفى أمين فى صباح

أول يوم توليت فـيه مـسئـوليـة رئاسة مـجلس إدارة دار أخبـار اليوم،ولقد سـمعت من مؤسس الـدار كلمات لم ولن أنساها. قال لى مصطفى أمين:

- (إننى لا أهنئك بالمنصب، وإنما - فى الحقيـقة - أشفق عليك مما ننتظره مـنك. فقـدرك أنك توليت منصب رئاسـة مجلس الإدارة فى وقت آن الأوان فيه لإحداث ثورة شاملة فى أخبار اليوم: ثورة صحفية و ثورة إدارية. الذين سبقوك فى هذا المنـصب قـامــوا بما كـان مـطلوبا منهـم فى تلك المرحلة، ونجحوا فى الاحتفاظ لأخبار اليوم بقوتها ونجاحها وازدهارها).

وواصل مصطفى أمين نصائحه وتوجيهاته لى، قائلا:

- (عالم الصحافة لا يتـوقف عن التطور والتقدم.فالذى كان مقبولا منهافى الستينات والسـبعينات..فقد أهميته فى الثمانينات،وأصبح باليا يثير السخرية فى التسعينات.الدول الأصـغــر منّا..سـبـقــتنا فى تطويـر صـحـافـتـهـا :مهنيا،وطـباعيا.وعلينا أن نلحق بقطار التطويـر الصحفى، وإلاّ تقهـقرنا إلى الوراء وتـركنا الساحـة لغيرنـا. لحسن الحظ أن لدينـا - الآن - هامـشـا لا بأس به مـن الحـرية. فـالحكومـة لا تتـدخل. والرقـابة على الصـحف تراجـعت واخـتفت. إذا كـانت هناك رقـابة على الأقـلام،فهى رقـابة داخليـة عشـشت فى قلوب الخائفين والمرعـوبين من بعض

القيادات الصحفية التى لاتزال تخاف من خيالها. إن هذا الخوف الذاتى هو أكبر خطر يهدد الصحافة المصرية ويمنع تطورها ويؤخر تقدمها.صحافة بلا حرية..هى صحافة خرساء لا فائدة أو جدوى منها ـ أو من ورائها ـ مهما أخذت دور الصحف بالجديد من المطابع المتطورة والتقنية المتقدمة. إن شجاعة القلم فى يد الصحفى .. هى الأصل والأساس،وبعد ذلك يبدأ البحث عن التطوير والتحديث والتقنية المعقدة) .

خلال السنوات الأخيرة الماضية..لم تغب عن ذاكرتى تلك النصائح والتوجيهات التى سمعتها من أستاذنا الكبير مصطفى أمين.

لقد حاول مجلس الإدارة الحالى ـ بقدر استطاعته ـ أن ينفذ مانصحنا مؤسس دارنا العريقة الشامخة بتحقيقه،وطبقا للأولويات المتفق عليها وذلك باطلاق العنان ـ أولاـ لحرية الأقلام فى أيدينا،أملا فى أن تسترد ثقة القراء فيما تكتبه،ثم نسعى ـ بعد ذلك ـ للبحث عن التطوير والتحديث لإدارتنا ومطابعنا وإعلاناتنا وتوزيعنا.

لحسن حظ الصحافة المصرية ـ بصفة عامة ـ أن المناخ السياسى كان يسمح بعودة حرية الصحافة التى كان أصحاب الأقلام ـ وعلى رأسهم أستاذ الصحافة المصرية والعربية مصطفى أمين ـ يحلمون بها،بعد حرمان منها

استمر عقودا عديدة ماضية.

لقد أعاد الرئيس حسنى مبارك الحرية كل الحرية للصحافة المصرية منذ اليوم الأول لتوليه مهام رئاسة الجمهورية.ولولا هذه الحرية التى وفرها الرئيس مبارك للصحافة المصرية لما انطلقت الأقلام كما انطلقت، ولما تعددت الآراء كما تعددت، ولما ـ أيضا ـ قفزت كل المؤسسات الصحفية المصرية خطوات واسعة إلى الأمام ..حتى يمكنها أن تلحق باطلالة القرن الحادى والعشرين .

واسمحوا لى بالرجوع إلى بعض أرقام مؤسسة أخبار اليوم،تأكيدا لهذه الحقيقة:

خلال السنوات الخمس الأخيرة..حققت دار أخبار اليوم أرباحا بلغت٢٠٦ ملايين جنيه.أى أن هذه الأرباح تضاعفت نحو خمسة أضعاف أرباح الدار خلال السنوات الخمس التى سبقتها ـ ١٩٨٦ / ١٩٩٠ـ حيث كانت ٤٣مليون جنيه.

وبالطبع فإن هذه الزيادة الهائلة فى الأرباح ـ خلال السنوات الخمس الأخيرة ـ انعكست بدورها على الهيكل المالى للمؤسسة،فارتفعت قيمة رأس المال والاحتياطيات من حوالى٦٠ مليون جنيه فى نهاية عام١٩٩٠ إلى ٢٤٠مليون جنيه فى نهاية عام١٩٩٥،أى أن قيمة رأس المال والاحتياطيات قد تضاعفت أربع مرات.

الأجور والمزايا العينية للعاملين، تضاعفت ـ هى الأخرى

ـ أكثر من مرتين، حيث كانت٨٧مليون جنيه خلال السنوات ١٩٨٦/ ١٩٩٠،فأصبحت ١٩٠ مليون جنيه خلال السنوات١٩٩١/ ١٩٩٥.

أما الأرباح الموزعة على العاملين فقد تضاعفت ثلاث مرات.كانت الأرباح الموزعة خلال السنوات الخمس من١٩٨٦ إلى١٩٩٠حوالى٤٣٥ ر١٢ مليون جنيه، متوسط نصيب الفرد منها بلغ٧٦٥جنيها،فأصبحت ـ خلال السنوات١٩٩١/ ١٩٩٥ـ نحو٤٣٢ ر٣٧مليون جنيه، وبلغ متوسط نصيب الفرد من هذه الأرباح الموزعة:٢٣٦٠جنيها.

هذه الأرباح كلها لم تشبع طموحنا،وإنما كانت وسيلتنا ومنطلقنا إلى تحقيق هدف أكبر هو:زيادة عدد إصداراتنا بعد أن توقفت ـ لأسباب عديدة ومعروفة ـ سنوات وسنوات. فقام الأستاذ سعيد سنبل ـ بعد أن اطمأن إلى الأرضية الصلبة التى تقف الدار عليها ـ بإصدار «أخبار الرياضة»أول سلسلة من إصداراتنا الأسبوعية المتخصصة،التى ولدت ـ كما يقولون ـ عملاقة،واحتفظت بمركز الصدارة وسعة الانتشار منذ عددها الأول وإلى ماشاء الله وبإذنه تعالى.

وعندما تسلمت الراية من زميلى وصديقى ـ سعيد سنبل ـ كان تكرار عملية الإصدار ـ بالنسبة لى ـ أكثر سهولة وأقل خطورة،وهذا ماشجعنى على إصدار سلسلة

جديدة من الصحف الأسبوعية المتخصصة.

أذكر يومها أننى ذهبت إلى الأستاذ مصطفى أمين وقلت له:

- (إن كل الاستعدادات جاهزة لاصدار باقى سلسلة الاصدارات التى سبق أن تحدثنا عنها طويلا. لقد نجحت صحيفة «أخبار الرياضة» ورحّب القراء بحجمها الجديد - التابلويد - الذى كان المرحوم على أمين قد اختاره لصحيفة «أخبار الغد» التى لم يمهله القدر لاصدارها،وهو نفس الحجم الذى اقترحته لنا لاصدار باقى صحفنا الأسبوعية المتخصصة) .

وازداد اللمعان فى عينى أستاذنا الكبير، كعادته فى كل مرة يسمع فيها خبرا صحفيا مثيرا، وواصلت حديثى إلى مصطفى أمين متسائلا عن توجيهاته لنا بشأن ترتيب إصدار تلك الصحف، فأجاب أستاذنا الكبير قائلا:

- (أتمنى أن تصدر عن دار أخبار اليوم مجلة أسبوعيةيوميا وعلى مدى أيام الأسبوع جنبا إلى جنب الصحيفة اليومية. فإذا كانت «أخبار الرياضة»تصدر صباح كل يوم ثلاثاء مع «الأخبار» فأتمنى أن تصدروا مجلة أسبوعية متخصصة صباح السبت مع «أخبار اليوم» وثالثة يوم الأحد ورابعة يوم الأثنين وخامسة يوم الأربعاء وسادسة يوم الخميس وسابعة يوم الجمعة)!

وتصورت أن أستاذنا الكبير يمزح.لقد جئت إليه لأعرض عليه اقتراحا بإصدار صحيفة أو صحيفتين على الأكثر، فإذا به يطالبنا بإصدار ست صحف أسبوعية متخصصة جديدة!

وقبل أن أرد سمعت مصطفى أمين يواصل حديثه قائلا:

- (لعلك تذكر أننا كنا نخطط - قبل تأميم الصحافة - لإصدار صحيفتين يوميتين..الأولى باللغة الانجليزية،والثانية باللغة الفرنسية..وبالمناسبة أذكر أن أحد المسئولين اليساريين - حينذاك - انزعج عندما علم بهذا الاتجاه واتصل بى تليفونيا وطلب منى إعادة النظر فى اصدار هاتين الصحيفتين لأنهما سوف تشجعان على انتشار لغة المستعمر البريطانى والمستعمر الفرنسى! وعندما أكدت لهذا المسئول أنه لا علاقة بين أن أكره الانجليز،أو أكره الفرنسيين وأتعلم لغتهما..بل على العكس من ذلك، فإن عدائى لشعب أو لآخر يحفزنى لتعلم لغته حتى أعرف كيف يفكر وماذا يخطط؟ ولم يقتنع محدثى بما قلته له وأصر على خطأ إصدار صحيفة باللغة الانجليزية وأخرى باللغة الفرنسية، ونصحنى بعد أن فشل فى اقناعى برأيه بضرورة إصدار صحيفة ثالثة باللغة الروسية حتى لا تتهم أخبار اليوم بأنها تنشر صحفا بلغة المستعمرين الأعداء ولا تنشر صحفا بلغة الأصدقاء

الحلفـاء! المـهم..أن التـأمـيم ألـغى الفكرة من أسـاسـهـا وأصـبـحت أخـبـا راليـوم فى وضـع«مـحلك سـر»، والمرة الوحـيدة التى أصـدرنا فيـهـا مجلة جـديدة ـ «هى» ـ لم يتركوها أكثر من بضـعة شـهور ثم أصدروا قرارا بإلغائها بزعم أنهـا مجلة برجوازيـة تعلم المرأة الاسراف، وتبـعدها عن الاتحـاد والنظام والعـمل، وتغـرقهـا فى تتـبع الأفكار والأزياء والأكلات الغربية الاستعمارية بدلا من الإغراق فى الجد والكفاح من أجل تحالف قوى الشعب العاملة)!

وواصل مصطفى أمين حديثه قائلا:

ـ (أمـامكم الآن فرصـة كبـيـرة لتعـويض ماضـاع فى الماضى. علـيكم الإسـراع بإصـدار المـزيد من الصـحف والمجـلات، بشـرط ألاّ يكـون الهـدف هـو زيادة كم الإصدارات، وإنما يجب أن يكون الهدف الأوحد هو إشباع حاجة القارىء للمعرفة والـثقافة والإعلام. قبل أن تصدروا الصحيفة عليكم أن تدرسـوا سوق الصحف وتتعرفوا على ماينقصه من نوعيات الصحف والمجلات، وعلى ضوء تلك الدراسة يمكن تحديد هوية الاصدارات الجديدة). .

وقلت لأستاذنا الكبير:

ـ (منذ فـتـرة طويلة وأنا أحلم بإصـدارات جـديدة لدار أخبار اليوم، وسـبق أن تقدمت إلى مجلس الإدارة الأسبق بهذا الاقـتراح الذى وافـقنا عليه بالإجـماع،وتقـرر أن تعد

دراسات جدوى لأربع مجلات: فنية، ورياضية، وأدبية، واقتصادية.

وأذكر أن المجلس أسند«الفنية»إلى الزميل محمد تبارك، كما أسند«الرياضية»،إلى الزميل عبدالمجيد نعمان،و«الأدبية»إلى الزميل جمال الغيطانى،و«الاقتصادية» إلى الزميل سميرعبدالقادر. وسارع هؤلاء الزملاء ـ بالفعل ـ فى إعداد الدراسات والماكيتات المطلوبة. ولعلك تذكر ـ يامصطفى بيه ـ يوم أن قدمت إليك وعرضت ماكيت المجلة الفنية ونال اعجابك،ولكنك تخوفت ـ فى نفس الوقت ـ من أن مجلة بهذا الورق المصقول وبعشرات الصفحات الملونة سوف يرفع من تكاليفها وبالتالى سيكون سعر بيعها للقارىء سببا فى قلة انتشارها، وهو مايتعارض مع شعار دار أخبار اليوم الذى يقول: «نحن خبراء فى إصدار الصحف الأكثر انتشارا والأقل سعرا».

كما تذكر أنك اقترحت علينا أن يكون اسم المجلة: «ألف ليلة».ومرت الأيام..ولأسباب عديدة لم تر إصداراتنا الجديدة النور. وعندما تولى الزميل سعيد سنبل رئاسة مجلس الإدارة قام باصدار المجلة الرياضية كصحيفة تابلويد ملونة وأسبوعية باسم:«أخبار الرياضة» وأسند رئاسة تحريرها إلى الزميل الشاب فتحى سند وحققت ـ كما نعلم ـ نجاحا كبيرا).

وأضفت قائلا:

ـ (جـئتك الـيوم ـ يامـصطفى بيـه ـ لأسـمـع رأيك فى الصحف الجـديدة التى ننوى إصدارها. لقـد استـمعت إلى اقتراحك بإصـدار صحيفة أو مـجلة أسبوعيـة يوميا وعلى مـدى أيام الأسبـوع، وأقـترح أن نصـدر صـحيـفـة للفن وأخرى لـلحوادث والقـضايا، وثالثـة للطفل ورابعة للـمال والاقتصـاد وخامسة للأدب وسـادسة للسيارات وسـابعة للمرأة، وهذا يعنى أن أيام الأسـبوع لن تكفى..وربما يكون الحل هو إصدار أكثر من مجلة أسبوعية فى اليوم الواحد! السؤال الذى يحـيرنى هو: أى هذه الاصـدارات الذى نبدأ به؟!).

وأجاب أستاذنا الكبير:

ـ(إبدأ بصـحيـفـة الحوادث والقـضـايا. إنها جـديدة فى فكرتها بالنسبة للصحافة العربية، وأتوقع لها نجاحا سريعا وانتشارا كبيرا).

وعدت أسأل:

ـ (بماذا تنصح المسئولين عن تحريرها؟) .

ولم يبـخل مـصطفى أمين عـلينا ـ كـعـادتـه ـ بأفكاره واقتراحاته وتوجيهاته،فقال:

ـ (أرى أن تضعوا شـعارا لهذه الصحيـفة الجديدة يكون أمام كل مـحرر حتى يتـحقق الهـدف من وراء إصدارها.

وأقترح أن يكون هذا الشعار هو:«الجريمة لا تفيد».قد لا يصدق البعض هذا الشعار عندما يسمع عن الذين يسرقون وينهبون الملايين وعشرات الملايين دون المساس بهم، ولكن الحقيقة أن الجريمة لم ولن تفيد مرتكبيها، وعلى الصحيفة الجديدة أن تركّز على هذا المعنى حتى يدخل شعار:«الجريمة لا تفيد» إلى العقول والقلوب..مرة أخرى، وتقنع الرأى العام بأن القانون لن يرحم المجرم مهما طال به الزمن. إن «الجريمة الكاملة» يمكن أن تتحقق فى بعض الأوقات،ولبعض المجرمين،ولكن من المستحيل أن تتم تلك الجريمة فى كل الأوقات ولكل المجرمين) .

وأضاف مصطفى أمين قائلا:

- (الذى يهمنى أن أنصحكم به هو أن الكتابة عن الجريمة والقضايا هى سلاح ذو حدين. بمعنى أن نشر قصص الجريمة بأسلوب مثير يمكن أن يشجع الشباب على تقليد المجرم باعتباره بطلا مغوارا حقق الثروة والشهرة معا.هنا تصبح الصحيفة وبالا على المجتمع وتسىء إليه وتفسد الجيل الجديد الذى هو أمل الحاضر والمستقبل. وعلى العكس من ذلك تماما إذا كتبت قصص الجريمة بأسلوب ينفر القارىء من المجرم ويحذره من الوقوع فى نفس هذه الهاوية التى لا نجاة منها. عليكم أن تتعقبوا الجريمة فى مصر وخارج مصر. اهتموا بتدريب

شبـاب الصحفـيين وعلموهم الانتشـار فى كل مدينة وكل قريـة لمتابعـة حوادث وجـرائم وقضـايا الشعب لنشـرها وتحليل نتائجـها وتفسـير أسبابهـا حتى يمكن تلافيـها أو الحـد منها علـى الأقل. كذلك يجب أن نتـوسع فى شـبكة المراسلين المنتشـرين فى أهم عواصم الدنيـا. إن الصحيـفة التى لهـا عـيـون وآذان خـارج الحـدود هى صـحـيـفـة ناجحة،قـوية،ومؤثرة.. بعكس الصحيـفة التى ترى وتسمع بعيون وآذان الآخرين مثل وكالات الأنباء.

ابتعـدوا عن الإثارة. لا تخلقوا من المنحـرفين واللصوص والفاسـدين أبطالا. لا تتعـاملوا مع الشائعـات كحـقائق. لا تعتمـدوا على مصدر واحد فى جـمع المعلومات . لا تكونوا نشرة تصـدرها وزارة الداخلية أو وزارة العـدل أو سراى النيـابة العـامة. لاتنشـروا صـور المتـهمين فى الـقضـايا الخطيـرة التى تمس الشرف والأمـانة ونظافة اليـد إلاّ بعد صـــدور الحكم النهـائى، والأهم من هـذا كله أن تلتـــزم الصحـيفة ـ فى كل سطر تنشـره ـ بمبدأ قانونى مـقدس يقـول: «المتهم برئ حـتى تثـبت إدانتـه»..حمـاية للأبرياء، ومنعا لتشويه سمعة الضحـايا وأسرهم) .

***

كان الأسـتاذ يتحدث وكـنت التلميذ الذى يكتب مـايقوله حـتى يعيـده على الزملاء الذيـن تم اختـيارهم للعـمل فى

صحيفة «أخبار الحوادث» التى صدر العدد الأول منها فى ٩ أبريل سنة ١٩٩٢ وحققت قفزة توزيعية غير مسبوقة فى تاريخ الصحافة العربية، لفتت أنظار كل وكالات الأنباء وتحدثت عنها معظم قنوات التليفزيون العالمية.

كلمات ونصائح «الأستاذ» كانت - ولا تزال - دستورا يحترمه ويلتزم به كل من عمل فى الصحيفة.

***

وماحدث لصحيفة «أخبار الحوادث» حدث نفسه بالنسبة للإصدار الثالث: «أخبار النجوم» والإصدار الرابع: «أخبار الأدب». فبعد النجاح الكبير لأخبار الحوادث، فكرنا فى إصدار الصحيفة الفنية، وذهبت إلى «الأستاذ» أزف إليه الخبر وأستمع منه إلى مالاغنى عنه من نصائح وتوجيهات. وقال لى مصطفى أمين:

- (لاتتصور أن نجاح الصحيفة الفنية سيكون فى سهولة صحيفة الحوادث. هناك ألف مجلة فنية تصدر باللغة العربية، ولكن هناك صحيفة واحدة بلا منافس هى «أخبار الحوادث» وبالتالى فالفارق كبير بينهما. لابد أن تتغلب «أخبار النجوم» على المنافسة الخطيرة التى تواجهها، وهناك العديد من الأفكار التى يمكن أن تساعدكم فى الصمود والنجاح.

لا تستسهلوا الكتابة عن نجوم السينما فتنشروا عنهم

أخبارا غـير صـحيـحة،وقصصـا مختلقة. لا تهـينوا نجوم الفن،فتـسـاعـدوا ـ دون أن تدروا ـ خفافـيش الظلام الذين يحرمـون الفن ويحاربون الإبداع. إن الفنان المصرى قيـمة كبـيرة يجب الحفاظ عليـها وحمـايتها ورعايتـها.إن الفنان بشر يمكن أن يخطـئ ويصيب،ولا بأس من نقد تصـرفاته وأعـماله ولكن دون تمزيـق له أو تشهـيـر به.قدمـوا الفن المصرى فى صورة براقة وراقية ومحترمة حتى يظل الفن المصرى والفنان المصرى هما القـدوة وهما السلاح المضاد لخـفـافـيش الظـلام وأعـداء الأضـواء.عندمـا تفـعل «أخبارالنجوم» هذا كله،فمن المؤكد أنها ستنجح وستجد لها مكانا عـاليا ومميزا وسط مـئات المجـلات التى تكتب عن الفن ولا هم لها غير فبركة الخبر واختلاق القصة والتفرغ للكتابة عن زواج وطلاق ومغامرات النجوم!).

***

وتشـجـيع «الأسـتـاذ» لم يـتـوقف عنـد الإصـدارات الجـمـاهيريـة سريعـة الرواج مـثل:الرياضـة والحـوادث والفن،وإنما سمعته يقول لى ذات يوم:

ـ(أعلم أنك متـردد فى إصدار صحـيفة الأدب خـوفا من الخسـارة.ولا بأس من المغـامرة،ولكن ليس من الصـعب ـ فى نفس الوقت ـ أن تصدر صحـيفة تهتم بالأدب دون أن تحمّل الدار خسائر كبيرة.إن من واجب دار صحفية كبرى

ـ مثل دارنا ـ أن تتحمل بعض الخسائر مادامت هذه التضحية ستفتح نافذة للمعرفة تتيح تذوق الأدب للشباب المحرومين من متعة القراءة زهيدة الثمن. إن البعض يتحسر على عدم ظهور أدباء وقصاصين وشعراء جدد، ولكن هذا البعض لم يسأل نفسه: وأين هي الصحف التي يمكن لشباب الأدباء الكتابة فيها؟! لا تتردد في إصدار «أخبار الأدب»،وثق أنها مطلوبة من جمهور عريض يهوى القراءة ويحب الأدب . لاتنتظر أن تحقق لدار أخبار اليوم إيرادات مالية ضخمة من وراء هذه الصحيفة،فيكفي ـ في البداية ـ أن تغطي مصروفات تحريرها وطباعتها،ومع بذل المزيد من الجهد في تحريرها فمن المنتظر أن يتحقق هامش ربح لابأس به إلى جانب المكسب الأدبي الكبير).

وأخذت برأي «الأستاذ» بلا تردد.وصدرت بالفعل صحيفة «أخبار الأدب» .

***

كان من المتوقع أن تتوالى الإصدارات مثل: «أخبار السيارات»،ومجلة للمرأة،وأخرى للطفل، وثالثة للعلم،إلى جانب صحيفة يومية دولية وأخرى محلية،و..و..و..لولاأن سارع خبراء الطباعة وأضاءوا «الضوء الأحمر» في وجوهنا محذرين من أن طاقة مطابعنا ـ التي انتهى عمرها الافتراضي منذ فترة ـ لم تعد

قادرة على المزيد من العطاء، وإلاّ أصبحت مهددة ـ فى أية لحظة ـ بالتوقف عن الدوران !

وكان من الطبيعى أن نتوقف نحن ـ مؤقتا ـ عن التفكير فى إصدار المزيد من الصحف والمجلات،حفاظا على مطابعنا الصحفية حتى آخر لحظة وآخر دوران لها.

***

وكما كان مصطفى أمين أستاذا لى فى الصحافة،كان أستاذا أيضا ـ وبنفس القدرات الخلاقة ـ فى الإدارة. وكما ذهبت إليه ـ من قبل ـ أسأله الرأى والنصيحة والإرشاد بالنسبة للإصدارات الصحفية الجديدة،هرولت ـ يومها ـ إلى مكتبه، منزعجا وحزينا، لأحدثه عن همومى الإدارية التى لا أجد غيره لمساعدتى فى حلها.

قلت لمصطفى أمين:

ـ (لن نستطيع إصدار باقى سلسلة مجلاتنا الأسبوعية المتخصصة بسبب الحالة التى وصلت إليها المطابع،لدرجة إنهم يحذرون من احتمالات توقفها بين لحظة وأخرى).

. وبنفس ابتسامة التفاؤل التى تعوّدنا عليها،قال لى مصطفى أمين: ـ(غريب جدا أنك تبدو وكأنك فوجئت بماقالوه لك ..أولعلك نسيت ماقلته لك بعد تعيينك رئيسا لمجلس الإدارة! لقد أبديت لك يومها إشفاقى عليك مما تنتظره منك دار أخبار اليوم،وكنت أقصد بذلك أنك ستطالب

بشـراء مطابع جديدة تكون قـادرة على الإنطلاقة الكـبرى التى لابد من القيام بها).

وأجبت قائلا:

- (لم أفاجأ بهذه الحقيقة،لكننى كنت أتوقـع تـأجيل شـراء المطبعة الجديدة إلى فترة أخرى قادمة).

ورد «الأستاذ» قائلا:

- (بالعكس..فالإسراع بالتعاقد على شراء المطابع الجديدة هو الأفـضل والأحـسن والأرخص مما لو أجّلتـه إلى أجل غيـر مسمـى! مادمت فى حاجـة إلى المطابع اليوم، فـيجب عدم الانتظار حتى الغد..أو بعد الغد) .

وعدت أسأل لأتعلم من خبرة الأستاذ الإدارية:

- (وكيف نختار الأفضل، والأحسن، والأرخص ؟!)

وأجاب مصطفى أمين :

- (من قال لا أعـلم فقد أفـتى. لا تكن مثـل «جاك» الذى يتـصور أنه يجـيد صنـع كل شىء ثم يتـضـح أنه لا يجـيد شيئا ! اترك العيش لخبازه! مـسئوليتك تنحصر فى البحث عن أفضل الخـبراء - من داخل المؤسسة أو من خـارجها - وتكلفهم بالبـحث والفحص والتمحـيص عن أحدث المطابع وأكثرها ملاءمة لاحتياجات المؤسسة) .

وتشجعت على إبداء المزيد من الأسئلة :

- (وكـيف نحـدد هذه الملاءمـة يا مـصطفى بيـه؟!)
ورد مـصطفى أمين بخـبـرته الطويلة فى إدارة المؤسـسـة الصحفية الكبيرة:

- (نجلس معـا - كصحـفيين - ونحـدد على الورق ماذا نريد من المطبعـة خلال الثلاثين أو الخمسين سـنة القادمة. الصـحفـيون وحـدهم هم الذين يمكنهم أن يحـددوا ذلك على ضوء مـشروعاتهم الصـحفيـة، وطموحاتهم بالنسـبة لإصداراتهم الحـالية والمستـقبلية. عـلينا أن نحدد من الآن ماهو الشكل الجـديد الذى يجب أن تكون عليه « الأخـبار» اليومية و«أخـبار اليوم»الأسبوعية،بعـد سنة، وبعد عشر أو عشرين سنة قادمة .

علينا أن نتوقع - من اليـوم - أن عدد صفحـات الجريدة سيـتضـاعف ليصل إلى٨٠أو١٠٠صـفحة، تتخللهـا ملاحق إعلانية وتحريرية ملونة. .وهذا كله - وغيره - يحتاج من الصحفى أن يحدد للفنى والإدارى رؤيته المستقبلية للعمل الصـحفى بما يتـوافق وقدرات المطبـعة الجـديدة المطلوبة التى يمكن أن تخرج لنا الصـحف والمجلات المتخصـصة الملونة من الغلاف إلى الغـلاف. ويجب ألاّ ننسى - أيضـا - أنه مع السماح بإصدار الصحف، فسوف يصل عددها إلى عشـرات من الصحف والمجـلات التى تحتـاج إلى مطابع ذات طاقة هائلة تسمح بطبع هذه الصـحف كلها فى أسرع

وقت مستطاع) .

***

وبالفعل أمسكت بورقة وقلم وأخذنا نحدد كل ماننتظره من المطابع الجديدة. ليس هذا فقط، بل اتفقنا ـ الأستاذ وأنا ـ على أن تصدر «الأخبار» و«أخبار اليوم» ـ وغيرهما من إصدارات الدار ـ فى حجم جديد ومقاس مختلف يكون مطابقا لمقاس الصحيفة اليومية الفرنسية:« لو فيجارو» باعتباره الأفضل بالنسبة للقارئ . ولم ينس الخبير الاقتصادى الأستاذ مصطفى أمين أن ينبهنى إلى أن هذا المقاس الجديد لن يكون مريحا للقارئ فحسب،وإنما سيوفر الكثير من تكاليف ورق الصحف .

***

وبعد الانتهاء من الإجابة على السؤال الأول:« ماذا نريد من المطابع الجديدة؟» انتقلنا للإجابة عن السؤال الثانى وهو: «من الذى سيرشدنا إلى المطابع الأفضل والأحسن والأرخص؟» .

وكانت الإجابة الثانية بنفس سهولة الأولى ..وقدمها «الأستاذ»فى الإدارة الصحفية الصحفى الكبير مصطفى أمين :

ـ (أرى أن تشكل لجنة ـ من مهندسى الطباعة ـ تتولى البحث عن المطابع المناسبة على ضوء الامكانات والقدرات

التى نحـددها لها. المسألة ليـست صـعبـة.فالمفـروض أن مهندس الطبـاعة يتابع كل جـديد فى عالم الطبـاعة فى كل قارات الدنيـا،ومن المؤكد أنه سـيجد أكـثر من مطبـعة فى أكثر من بلد تتطابق مواصفاتها وقدراتها مع مانريده منها، ويسهل بعد ذلك الاختيار واتخـاذ قرار التعاقد على شراء : الأفضل،والأحسن،والأرخص).

***

وهذا مـاحـدث بالفـعل. تم اختـيـار عـدد من مـهندسى أخبار اليوم الشبان ومن مختلف التخصصات وانضموا إلى لجنة من الصـحفـيين والإداريين يرأسـهـا الزميل مـحمـد طنطاوى ـ مدير تحرير «أخبار اليوم» ـ مـهمتها دراسة كل العـروض،والسـفـر إلى العـديد من دول العـالم المنتـجـة للمطابع الصـحـفيـة ثم العـودة لدراسة توصـيـات اللـجنة واختيار المطبعة الأكثر ملاءمة لاحتياجاتنا.

***

قامت اللجنة برحـلات طويلة،مرهقة،فى الولايات المتـحدة وكندا وألمانيا وبريطانيا وفرنسـا وإيطاليا، لمعاينة ودراسة أحدث مـاتقدمه المطابع من إمـكانات، إلى أن اتفقت الآراء ـ بعد شهور عديدة ـ على التعاقد مع شركة «مان رولاند» ـ الألمانية ـ لشـراء أحدث وأقوى وأكبـر ماكيناتها المعـروفة باسم:(COLORMAN) التى تم تركيـبها بالفعل فى مـجمع

مطابع أخبار اليوم فى مدينة السادس من أكتوبر على مساحة ٧٢ ألف متر مربع وينتظر أن تبدأ التجارب عليها خلال الأسابيع القليلة القادمة- بإذن الله تعالى - قبل الاحتفال الكبير بتشغيلها فى نهاية العام الحالى.

***

لقد نشرت مجلة «ريفيو »- الألمانية المتخصصة فى الطباعة - مقالا بعنوان:أكبر مشروع على ضفاف النيل وجاء فى التحقيق الصحفى مايلى:

- (فى مصر تتحقق دائما أكبر المشروعات.فعلى سبيل المثال أقيمت أهرامات الجيزة، وأقيم السد العالى، والآن ينضم إليهما مشروع بناء أكبر وأحدث مركز طباعى فى الشرق الأوسط والذى قارب العمل فيه على الانتهاء.

إن المشروع الطموح - الذى تقيمه دار أخبار اليوم المصرية الشهيرة مع شركة«مان رولاند» فى مدينة السادس من أكتوبر بالقرب من القاهرة - يسير قدما طبقا للجدول الزمنى المتفق عليه،وتم تسليم ماكينات الطباعة التى تنتجها«مان رولاند» على مراحل لكى يتم تركيبها فى المبنى الضخم الحديث الذى يجرى العمل فيه على قدم وساق.إن أولى الماكينات التى تم تركيبها فى هذا المشروع - الذى تبلغ تكاليفه ٨٥ مليون مارك ألمانى.. أى أكثر من ١٨٠ مليون جنيه مصرى - هى أربع وحدات من

مـاكينات «رولاند٧٠٠»لـطباعـة المجلات الملونة الفاخـرة وكـذلك الكتب المدرسـيـة والكتـب التى تصـدرها دار أخـبـا راليـوم،كـمـا تم تسليم مـاكـيـنة أخـرى من طراز «كروموست» لطباعة الكتب.

وهناك ٢مـاكـينة من طـراز«بوليـمـان» وهـى مـاكـينات طبـاعة«أوفـست ويب»كل واحـدة منهـمـا تتكون من أربع وحدات طبـاعة مزدوجة تسـتخدم فى الأغراض التـجارية المختلفة.أما نـواة المجمع الطباعى فهى المطبعة الصـحفية من طراز«كولورمـان» التى تتكون من ماكـينتين مدمـجتين على خط طبـاعى واحد،وهذه المطبـعة الجـبارة يمكنـها أن تقوم بطباعـة خمس صحف يومية إلى جانب مـجموعة من الجرائد والمجـلات الأسبوعيـة وبمئات الألوف من النسخ لكل صحيفة منها.

وسيـتم نقل لفات الورق الضـخـمة إلى الماكـينة بطريقة أوتوماتيكيـة حديثـة بآليات تعمل بدون سـائق وبالريموت كنترول،وهو أحـدث نظام فى العالم ويستخـدم لأول مرة فى الشرق الأوسط ويطلق عليها اسم:أوروسيس

***

انتهى تقرير مـجلة الطباعة الألمانية«ريفيـو» عن مشروع مجمع مطـابع دار أخبا راليوم،وهو المشـروع العملاق الذى نستـعد لافتتـاحه رسميـا ـ فى الشهور القليلة القـادمة ـ

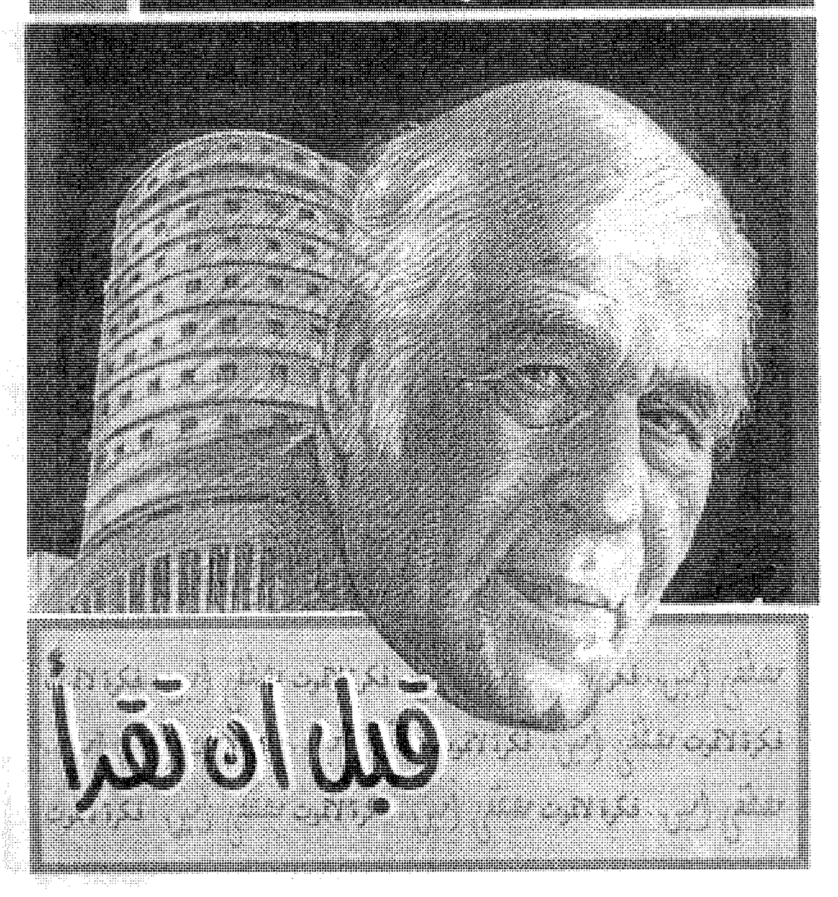
وكنت أتمنى لو مد الله فى عمر أستاذنا العظيم مصطفى أمين ليكون فى استقبال ضيوفنا ويتجول معهم متفقدا مشروعه الضخم الذى كان أول من فكر فيه، وأول من شجعنا عليه، وأول من حدد لنا خطوات تنفيذه خطوة بعد أخرى.

***

رحم الله أستاذنا الكبير الذى علمنا الصحافة، وعلمنا ـ أيضا ـ كيف تدار الدار الصحفية،فالفضل يرجع إليه أولا وأخيرا فى أى انجاز ـ صحفى أو إدارى ـ تحقق للدار العملاقة التى أسسها فى سنة ١٩٤٤مع توأمه الراحل الأستاذ العملاق على أمين.

إبراهيم سعده

١ مصطفى أمين .. فكرة لا تموت



بحكم السن لا أنتمى لجيل الاستاذ مصطفى أمين
وبحكم الظروف لم أعمل معه ولم تتح لى الفرصة لأكون واحدا من تلاميذ مدرسته..
ومع ذلك فقد ارتبطت به فى السنوات الأخيرة فاختصنى بأحاديث صحفية عديدة.. وأيضا ببرنامج تليفزيونى طويل امتد تسجيله لأكثر من ٤ ساعات وأذيع منه جزء ولا يزال هناك جزء آخر لم يذع حتى الآن..
وشعرت خلال هذه السنوات أننى أحظى برعايته التى لم تقتصر على تلاميذه، ومعظمهم من نجوم الصحافة الموجودين حاليا ومن كبار الكتاب.. فقد كان الرجل يستدعينى فى مناسبات مختلفة ويستمع لى باهتمام.. وكانت جلساتنا تمتد أحيانا لساعات طويلة أتاحت لى أن أقترب منه أكثر وأعرف عنه أعمق..
ولا زلت أذكر أول مرة التقى فيها بالأستاذ مصطفى أمين..
أيامها فكرت فى أن أجرى معه حديثا صحفيا فلجأت للاستاذ محسن محمد الذى أكد لى أن الرجل أبسط بكثير مما اتصور وأن لقاءه لا يحتاج لأى ترتيبات..
ورفع الاستاذ محسن محمد سماعة التليفون واتصل به

وسمعته يقول له:

سنكون عندك فى تمام الحادية عشرة صباحا أنا ومحمد مصطفى..

ليلتها اتصلت بالصديق الاستاذ وجيه أبو ذكرى وأخبرته بالموعد الذى حصل عليه الاستاذ محسن محمد فاتفق معى أن يأتى لمكتب الاستاذ مصطفى أمين فى نفس الموعد..

وفى الموعد المتفق عليه وفى مكتبه جلست أرقبه طويلا.. وشعرت بالفعل أننى أقف أمام واحد من أهرامات الصحافة المصرية.. والعربية. وعندما قدمنى الاستاذ محسن محمد له قال على الفور:

أعرفه من خلال ما يكتب فى جريدة السياسة الكويتية.. ثم التفت ناحيتى وقال: أعجبنى الحديث الذى أجريته مع الدكتور عاطف صدقى.. وكان وقتها أول حديث صحفى مع رئيس وزراء مصر الجديد.. وأضاف أنه يتابع ما أكتبه ويثير اعجابه أن جريدة السياسة الكويتية تحظى بهذه الانفرادات أكثر من باقى الصحف الكويتية الأخرى.

فى نفس اللحظة دخل مكتب الأستاذ مصطفى أمين الأستاذ وجيه أبو ذكرى ورأيته يتجه ناحيته ويقبل رأسه.. كأنه عرف متبع.. ثم راح يحدثه عنى..

وضحك الاستاذ مصطفى أمين وقال موجها كلامه للأستاذين محسن محمد ووجيه أبوذكرى: يبدو أنكما تحبان مصطفى كثيرا (هكذا كان ينادينى).

وضحك الاثنان واستأذنا فى الانصراف ليتيحا لى فرصة الاتفاق معه على إجراء الحديث الصحفي.. وعلى الفور سألنى الاستاذ مصطفى أمين عن تفاصيل الحديث الذى أجريته مع د. عاطف صدقى وقال: كيف استطعت ترتيب هذا الموعد معه؟ .. هل هناك من يساعدك فى الحصول على مواعيد مع المسئوليين؟

وضحكت وأنا أقول له: هل تصدقنى لو قلت لك أنه دعاء الوالدين..

قال الأستاذ مصطفى أمينْ بحماس: طبعاً أصدقك جدا لأن كل نجاح حققته فى حياتى وليس فى الصحافة فقط أدين به لدعاء الوالدين..

وشجعنى حديثه الودى أن أعرض عليه إجراء اللقاء الصحفى الذى حضرت من أجله فقلت له:

إننى أتمنى من فترة طويلة أن أقدمك لقراء السياسة الكويتية فإذا لم يكن هناك مانع فإننى أرجو أن تحدد لى مساحة الوقت المتاح وقدر الصراحة الممكن والموضوعات التى لا تحب أن اقترب منها..

وعلى الفور رد قائلا:

اسأل فيما تريد.. ليس هناك أى حظر.. وخذ من الوقت ما تشاء..

وتركت الورقة التى تضم أسئلة الحوار ورحت أسأله فى كل ماخطر على بالى .

* * *

من يومها لم تنقطع صلتى بالاستاذ مصطفى أمين.. وكثيرا ما كان يحدث أن يتصل بى وفى العادة كان يبادرنى بصوته المميز (عايز أشوفك.. فاضى امتى)؟

فأرد عليه بأننى جاهز للقائه فى أى وقت:

.. كان يدعونى فأسارع بتلبية دعوته.. وكان فى العادة يبدأ هو بسؤالى عن موضوعات مختلفة..

وذات يوم اتصل بى وطلب أن ألقاه.. وذهبت للقائه فى الموعد الذى حدده.. وراح يسألنى عن زيارتى لاسرائيل..

كنت قد بدأت أنشر سلسلة من اللقاءات والموضوعات الخاصة بالرحلة الصحفية التى قمت بها لفلسطين المحتلة.. وسألنى الاستاذ مصطفى أمين: «هل يمكن للثقافة اليهودية أن تفرض نفسها على الثقافة العربية».. فقلت له أننى أرى ومن واقع زيارتى استحالة ذلك ورحت أشرح له الأسباب..

كنت أشعر بمدى اهتمامه بمتابعتى وشجعنى ذلك أن أطلب منه تسجيل حلقة خاصة عن مشوار حياته لاحدى المحطات الفضائية العربية..

ولم يتردد فى الموافقة وحدد بنفسه موعد التسجيل وقال انه اختار هذا الموعد لانه موعد اجتماع مجلس إدارة ليلة القدر.. ويرى أنها مناسبة جيدة للتسجيل..

وفى اليوم المحدد جاء فى موعده لكنه طلب أن نعطيه خمس دقائق لكى يقوم بحلاقة ذقنه..

وأدهشني تصرفه فسألته عن الأسباب التي تدعوه لحلاقة ذقنه في المكتب فقال انه تعود على ذلك منذ سنوات طويلة وأنه يفعل ذلك لتوقعه كل يوم أن تزوره شخصية مهمة..

وأضاف ضاحكا أن كل زواره بالنسبة له مهمون..

واستأذنته أن نقوم بتصويره وهو يحلق ذقنه.. فلم يمانع.. ساعتها همست في أذني الزميلة العزيزة نوال مصطفى بأن أسرة ليلة القدر ستحتفل بعيد ميلاده وستقدم له تورتة خاصة.. ومرة اخرى استأذنته في تصوير هذه المناسبة فوافق على الفور..

ثم طلبت منه أن يكتب أمام الكاميرا عموده (فكرة) وسألته ان كانت عنده فكرة؟ ! فقال: لم أحدد بعد موضوعها.. ما رأيك أنت؟ .. وجاء في خاطري موضوع ليلة القدر.. وكيف ولدت فكرتها..

وتناول الاستاذ مصطفى أمين ريشته وغمسها في دواية الحبر التي أمامه (هكذا كان يفضل الكتابة ويقول أنه لا يشعر بمتعتها إلا بهذه الطريقة) وخلال ٦ دقائق بالضبط كان قد انتهى من الكتابة دون أن يشطب كلمة واحدة..

ونظرت اليه طويلا وهو يكتب وأدهشني أن رجلا في مثل سنه يملك هذه الحيوية وهذا التركيز وقلت لنفسي أن قوة هذا الرجل تكمن في رأسه.. داخل جمجمته..

وكان ذلك صحيحا فحتى آخر أيامه كان الجزء الوحيد من جسمه الذي ظل سليما هو رأسه.. عقله.. وتركيزه.. وهكذا

ظل يكتب حتى آخر أيام حياته..

* * *

ثم حدث ماجعلني أشعر بالامتنان للرجل الذى اقتربت منه كثيرا..

كان ذلك فى العام الماضى وقبل أيام من ظهور نتائج جوائز جمعية مصطفى وعلى أمين.. قبلها كان هناك لقاء طويل جمعنى به فى مكتبه.. وراح الاستاذ مصطفى أمين يثنى على اللقاء الصحفى الذى أجريته مع المجاهد أحمد بن سودة رئيس الديوان الملكى المغربى ومستشار الملك الحسن الثانى.

وتصورته لقاءاً عاديا.. فلم يزد عن مناقشة الموضوع الذى نشرته وبعض التفصيلات عنه.. ولكن بعد يومين وبينما كنت أقلب فى صفحات الجرائد التى تصلنى بانتظام ليلا وقبل توزيعها فى الصباح فوجئت باسمى ضمن الفائزين بجائزة مصطفى وعلى أمين كأحسن صحفى عربى كتب تحقيقات صحفية لعام ١٩٩٦.

كانت مشاعرى خليطا بين السعادة والامتنان.. ولا أبالغ اذا قلت أن الليلة مرت عليّ دون أن يغمض لى جفن.. وفى الصباح كان أول مافعلته هو الذهاب لمكتب الاستاذ مصطفى أمين.. وربما كانت المرة الأولى التى أذهب فيها للقائه دون موعد مسبق..

وانتظرته حتى وصل وعندما دخلت مكتبه لأقدم له شكرى

وامتنانى استقبلنى بمودة بالغة وقال انه كان يفكر فى منحى هذه الجائزة قبل ثلاث سنوات.. لكنه فضل الانتظار لحين يزداد نضجى وأردف ضاحكا: «أظنك الآن يامصطفى استويت خالص»!

فقلت له أن كلمات الدنيا لاتكفى للتعبير عن امتنانى بهذا الاختيار.

وفى زحمة الحياة يمكن للمرء أن تتعطل بعض اتصالاته وصلاته ببعض الذين يحبهم.. لكننى لم اسمح لنفسى أبدا بأن أخضع لهذه القاعدة بالنسبة للاستاذ مصطفى أمين.. فقد حرصت على أن أظل على صلة وثيقة به.. وحرصت أكثر على أن أسجل كل لقاء جمعنى به..

وعندما مرض مرضه الأخير احسست بالجزع ليس لأنه على وشك أن يغادر عالمنا.. فهذا قدر البشر اجمعين.. لكننى جزعت لأن الصحافة المصرية والعربية ستفقد واحدا من رموزها القوية.

إن الملاحظة الجديرة بالذكر هنا هى أنه ربما يجد القارىء لهذا الكتاب بعض الاراء التى طرحها الكاتب الكبير أثناء لقاءاتى العديدة معه والتى تضمها سطور هذا الكتاب.. قد يجد البعض منها قد أدلى به الراحل الكبير فى اكثر من موقع أو وسيلة إعلام.. فقد لاحظت ان آراء الرجل ثابتة طوال مسيرته بل أن له مفرداته المتميزة فى التعبير عن رؤاه خاصة فيما يتعلق بالقضايا الاساسية فى حياته مثل الحرية

والديمقراطية. ونظرته المتفائلة للمستقبل وغيرها من آرائه المعروفة، لكنى حرصت على الالتزام بكل ماقاله الرجل ولازلت احتفظ بشرائط التسجيل.. بالصوت والصورة حيث اتيح لى - كما سبق وان ذكرت - ان اسجل معه برنامجا تليفزيونيا طويلا.

ومن تدابير القدر أن تحرمنى الظروف من حضور حفل تسليم الجوائز... لكن هذه الظروف جعلتنى أكتشف فى الأستاذ مصطفى أمين أبعاداً إنسانية لم يكن من السهل التعرف عليها.

لقد شاءت الأقدار أن ترحل أمى فى نفس يوم احتفال توزيع جوائز جمعية مصطفى وعلى أمين للصحافة الأخيرة والتى شرفت بالحصول على احدى جوائزها.. وبالطبع لم أحضر هذا الاحتفال الذى أقيم فى جامعة الصحافة العربية (مبنى أخبار اليوم) وعندما نودى على اسمى همس الاستاذ كرم سكرتير مصطفى أمين فى أذنه بخبر وفاة والدتى وعدم وجودى بالقاعة فأعلن مصطفى أمين ذلك فى الميكروفون.. وعندما تقدم أحد الأصدقاء من كبار الكتاب لاستلام الجائزة نيابة عنى قال مصطفى أمين «لأ.. أنا حسلمها له بنفسى» وبعد عدة أيام اتصل بى سكرتيره لتحديد موعد لاستلام الجائزة. وذهبت ولاتزال لوعة فراق أمى تعصف بمشاعرى وتضع حاجزا بين فرحة الحصول على هذا التقدير الكريم وبين المشاعر الحزينة، وعندما استقبلنى مصطفى أمين قدم

لى تعازيه وظل يشرح لفترة طويلة كيف كانت علاقته بأمه.. كيف كان حبه لها اسطوريا وقال إن رحيل أمه كان بمثابة زلزال قوى فى حياته وشقيقه التوأم على أمين، لكن واحداً من أصدقائه قال له.. أنت أسعد حالا من غيرك.. فقد ظللت تحظى بحضن أمك سنوات طويلة.. لقد عاشت أمك نجاحك.. لكن هناك من فقد أمه لحظة ميلاده فلم يرها ولم ينعم بحنانها ورعايتها.. وأخذ يحكى لى أن أكثر ما كان يؤلم عبدالحليم حافظ أنه لم ير أمه وأنه كان يتمنى أن تعيش أمه لتراه ناجحا ومشهورا ثم أضاف: إن المحظوظين فقط هم الذين عاشوا مثلما عشنا سنوات طويلة كالتى عشناها فى أحضان امهاتنا..

وفهمت الرسالة.. وعرفت لماذا أصر أن أتسلم الجائزة منه شخصيا.. وأدركت كم كان هذا الرجل انسانا.. وكم كان لهذه اللفتة اثرها الباقى والعميق فى نقسى..

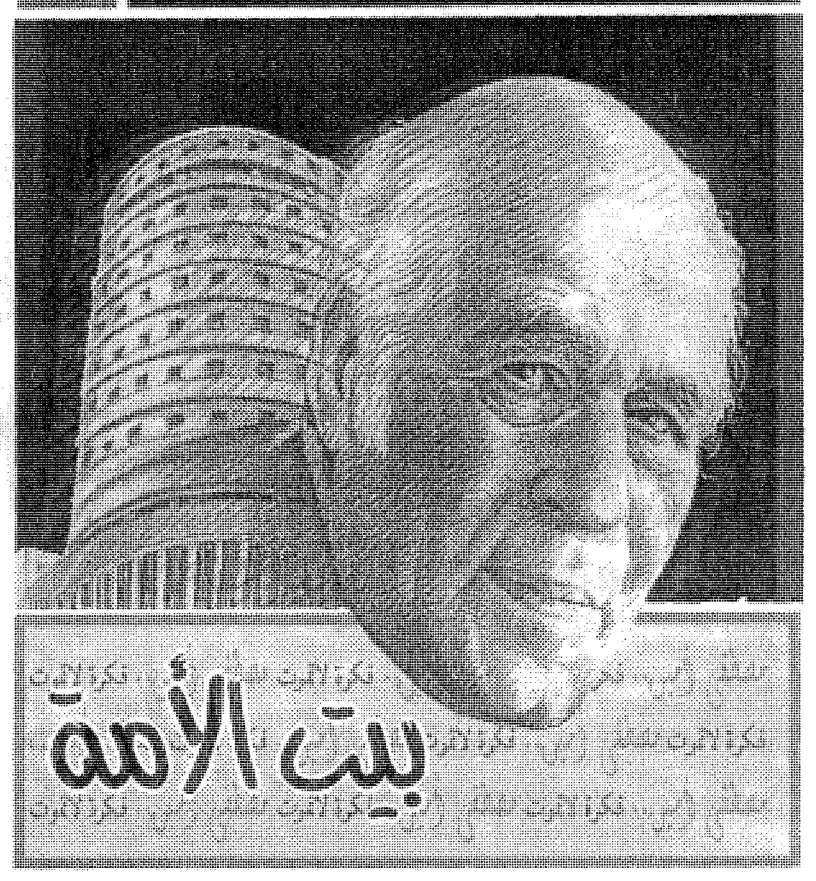
وكثيرة هى المواقف والأحداث التى احتفظ بها للرجل.. من هنا فأنا أؤكد أن ما يقدمه هذا الكتاب ليس إلا لمحة من زاوية عشتها عن قرب، وقد تكون بعض الآراء التى أقدمها على لسان الراحل العظيم قد قالها فى مناسبة أوأخرى فى حوار له هنا أو هناك.. وأعلم أن حياة الراحل الكبير تحتاج الى أكثر من كتاب بل أن عطاءه وابداعاته لابد وأن تعكف مجموعة من الباحثين والمتخصصين على دراستها وتقديمها للأجيال المتعاقبة من الكتاب والصحفيين ومن المثقفين

وأصحاب الفكر.. كما أن التجربة الانسانية الثرية التى عاشها الرجل تحتاج أيضا الى دراسة متعمقة وتحليلية، وهو ما أتصور أن كثيرين من تلاميذه، الأفذاذ لن يبخروا جهدًا فى إنجازه..

إن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون كتابا متكاملا ومثاليا عن صاحب وناظر مدرسة الصحافة الحديثة الراحل الكبير الاستاذ مصطفى أمين.. لكنه مجرد محاولة لا تنقصها الجرأة أو الجهد الوفير.. ورغم أن رحلة هذا الكتاب قد بدأت قبل وفاته بفترة طويلة إلا أن تدابير القدر الغريبة شاءت أن يكتمل الفصل الأخير من هذا الكتاب مع الفصل الأخير من حياة مصطفى أمين.

محمد مصطفى

مايو ١٩٩٧


بيت الأمة

ولد مصطفى أمين فى شهر فبراير من عام ١٩١٤.. وبالطبع كان ذلك يعنى أن على أمين توأمه ولد فى نفس التاريخ.. ولأن مسألة ولادة التوأمين لم تكن معروفة فى ذلك الحين.. فقد كان قدوم مصطفى أمين وشقيقه على أمين للدنيا مسألة أصابت الأهل بالدهشة.. وإن أضيفت لدهشة الأم مشاعر الخوف والحيرة فقد تساءلت عند مولدهما كيف تستطيع أن تربى ولدين فى وقت واحد؟!

ولم تمنع مشاعر الدهشة والخوف من قبول الأمر الواقع.. وهكذا أطلقت الأم على التوأمين اسمى على ومصطفى.. الأول هو على والثانى مصطفى الذى كان يميزه ضعف جسمه..

وفى بيت خال الأم - الزعيم سعد زغلول - والذى اشتهر باسم «بيت الأمة» نشأ الاثنان وعاشا طفولة مثيرة.. طفولة لم تتح لغيرهما من الأطفال فى ذلك الحين.. فلم يكونا يلعبان ويلهوان كما يفعل باقى الأطفال وانما كانا يلعبان لعبة (العسكر والثوار) فقد كانت حياة سعد زغلول المثيرة هى أحلى القصص التى يستمعان إليها..

وكانت الحكايات التى يرويها سعد زغلول أهم ألف مرة

وأكثـر إثارة بالنسبة لمصطفى وعلى أمـين من الحكايات التى تعود الأطفال سماعها عن (على بابا) و(أمنا الغولة).. وكثيرا ماكانت الأم تبذل جـهدا كبيرا فى انتزاع الصـغيرين من أمام جدهما.. فقد كانا يتمسكان بمقعديهما لسماع حكاياته..

وكان الاثنان - مصطفى وعلى - شـديدى الشبه ببعضـهما فكان من الصعب أن يفرق بينهمـا أحد.. وبسبب هذا التشابه القوى جـدا لجأت الأم لحيلة وضع شـريط فى شعر أحـدهما للتـعـرف بسـهـولة على الاثنـين.. لكن المثـيـر للدهشـة أن الصغيرين أدركا الهدف من الشريط وكان يحلو لهما أن يلهوا بلعبـة وقوع الآخرين فى خطأ التـفريق بينهمـا.. وهكذا كان الاثنان يتبادلان وضع الشريط لتضليل الآخرين.. !

* * *

وعندمـا سألت الاسـتاذ مـصطفى أمين عن الذكـريات التى يحتفظ بها لهذه الفترة قـال: احتفظ بالكثير منها.. ومن بينها حرصنا أنا وشقيقى على الاستيقاظ مبكرا لمشاركة جدنا سعد زغلول فى طبق (عـين الجمل) الذى كان يحـرص على تناوله كل صباح.. ويبدو أن إصرارنا على مـشاركته هذا الطبق قد أثار شهيـته للمداعبـة فقال لنا يوما ونحن قـادمين الى حيث يجلس (لا تقولا صباح الخير ياجـدى.. بل قولا صباح الخير ياعين الجمل).. لـكن الحقيقة اننا كنا نسـتمتع بحديثـه أكثر من استمتاعنا (بعين الجمل).

ويستطرد الاستاذ مصطفى أمين فيقول:

كانت أمتع لحظات حياتنا عندما كنا نجتمع حوله على مائدة الطعام.. وكان ذلك يحدث مرتين.. مرة فى الغداء واخرى فى العشاء.. ولم يكن السبب هو الطعام الشهى الذى تميز به بيت الأمة وانما كان حديث جدنا هو الذى يجذبنا للتجمع حوله.. ولهذا السبب كانت فترة تناولنا للطعام تمتد أكثر من اللازم وكان حديث جدنا بما يتضمنه من أسرار وأخبار وحكايات تجعلنا مشدودين لمقاعدنا لانفكر لحظة واحدة فى مغادرتها.. وكان هذا الاصرار من جانبنا سببا يوميا للشجار مع والدتنا خاصة فى المساء.. فعندما كانت تحاول انتزاعنا من مقاعدنا وارغامنا على الذهاب للنوم كنا نصرخ ونستنجد بجدنا لكى يمنحنا ساعة أخرى إضافية.. وفى كثير من الاحيان كان سعد زغلول ينحاز لنا ويوافق على بقائنا هذه الساعة الاضافية..

* * *

ومن المؤكد أن الفترة التى قضاها مصطفى أمين وشقيقه على فى منزل سعد زغلول.. كان لها تأثيرها المباشر على نشأتهما.. ولابد أن هناك دروسا كثيرة تعلمها الاثنان خلال هذه الفترة.. ومن هذه الدروس كما يقول مصطفى أمين.. الديمقراطية.. ويضرب على ذلك مثلا فيقول:

كنا جالسين حول سعد زغلول عندما وصله خطاب مكتوب عليه - سرى جدا - قام بفتحه أمامنا وراح يقرأه باهتمام شديد. . ثم فوجئنا به ينحى الخطاب جانبا وينفجر فى

الضحك.. وأثار تصرفه فضولنا فسألناه عن سبب هذا الضحك فقال إن الخطاب مرسل اليه من وزارة الداخلية وأنه يحوى منشورا كان يوزع فى الجامع الأزهر.. أما المنشور فكان موجها ضد سعد زغلول.. منشور يقول إن سعد عدو الاسلام والمسلمين.. والسبب أنه وافق على تعيين اثنين من الأقباط فى وزارته..

وأكثر من ذلك فقد تضمن المنشور اتهاما صريحا لسعد بأنه يشجع العاهرات وأنه أمر بتنظيم مسابقة بينهن وطلب من مرقص حنا - وزير الاشغال ايامها - الاشراف بنفسه على المسابقة وتوزيع الجوائز على العاهرات!.

وقبل أن نفيق من دهشتنا رفع سعد زغلول سماعة التليفون واتصل بالوزير مرقص حنا يسأله عن حكاية مسابقة العاهرات.. ويبدو أن الكلام أغضب الوزير فقد سمعنا صوته من سماعة التليفون وهو يصرخ بصوت عال مؤكدا أن ماحدث كذب وافتراء.

ومرة أخرى ينفجر سعد زغلول فى الضحك ويقول للوزير: ياأخى أنا أعرف الأزهريين.. أعرف أنهم لا يكذبون وماذا يقصدون.. وأنا واثق أنهم يقصدون المسابقة المسرحية التى نظمتها وزارة الأشغال وقمت أنت بتوزيع جوائزها..

وانتهت المحادثة التليفونية وراح سعد زغلول يشرح لنا التفاصيل فقال: إن الحكومة فى اطار تشجيعها للفن والفنون قررت تنظيم مسابقة للمسرح ويبدو أن هذا التصرف ضايق

الازهريين الذين اعتبروا أن الفتاة التى تقف على خشبة المسرح لكى تمثل وتغنى عاهرة.. ويبدو أن بعض رجال القصر الملكى قد استثمروا مشاعر الضيق عند الازهريين فقاموا بتحريضهم على كتابة هذا المنشور ودفعوا لهم ثمن طباعته. .

لكن كيف تصرف سعد زغلول. .يقول مصطفى أمين إن وزير الاشغال اقترح عليه إلقاء القبض على أصحاب هذا المنشور لكن سعد زغلول رفض بشدة قائلاً إننا نعيش عصر الديمقراطية.. وفى عصر الديمقراطية لايجب ان نسجن من يختلف معنا فى الرأى.. نحن نؤمن بأن المسرح رسالة وهم يؤمنون بالعكس والديمقراطية تحتم علينا أن نقنعهم برأينا فيجب علينا أن نخفض لهم ثمن تذكرة المسرح لكى تتاح لهم فرصة دخوله فيحكموا بأنفسهم بأن المسرح مثل المدرسة ويؤدى نفس الدور الذى تقوم به.. كان سعد ديمقراطيا الى أقصى درجة كما يقول مصطفى أمين وكان يكره حكم الكرباج ويقول إنه ليس هناك أسهل من استعمال القوة.. الصعب هو الديمقراطية.. هو حكم الشورى..

وكان هذا أول درس للتوأمين فى بيت الأمة.. ويستطرد الاستاذ مصطفى أمين فيقول: تعلمنا أيضا أن الدنيا لاتفتح أبوابها للذين يعتمدون على آبائهم وانما تفتحها للذين يحفرون فى الصخر بأظافرهم.. وكان سعد حريصا على أن نتعلم هذا الدرس جيدا ونعيه فذات يوم كنا ذاهبين للمدرسة

فـإذا بالامطار الغـزيرة تهطل فـجأة.. فطلبنا من والدتنا أن نذهب للمدرسة بسيارة جدنا سعد زغلول لكنها رفضت بشدة وقـالت لنا إن سـعـد زغلول نفـسه كـان يذهب لمدرسـتـه ـ المدرسة السـعيدية بالجيـزة ـ سيرا على الأقدام.. وكـالعادة ذهبنا الى جـدنا نستنجـد به لكننا فوجـئنا بأنه يرفض طلبنا ويقول لنا: لابد أن تتعلما المشى وسط الامطار حـتى تستطيعا بعـد ذلك أن تسـيـرا فى الحـيـاة.. حـتى لو كـانت مليـئـة بالعواصف.

وتعلمنا منه أكثر من ذلك

فكثيراً ما كان سعد زغلول يسـألنا عن زملائنا فى المدرسة وعمـا يقـولوه لنا.. خاصـة عندما عـرف منا أنهم من أولاد الذوات.. وذات يوم قلت له أن بعضـهم يعـايرنا بأننا فلاحون من أبناء الفلاحين وأننا نرتدى جلاليب زرقـاء مثل الفلاحين.. وبحماسه المعروف عنه قال لى:

إن هذه الجـلالـيب هى تعـبـيـر عن الأمــة.. وإذا كـانوا يسخرون منهـا فإنهم يسخرون من علم مـصر الجديد.. علم الثـورة التى ستـجعل الفـلاحين أسـياداً. .وتحـيل البشـوات والذوات إلى الاستيداع.

كان سـعد زغلول فى الحقـيقة شـديد الإعتزاز بمصـريته.. وكان فخوراً بشعـبه.. بل انه لم يكن يغضب من لقب (زعيم الرعاع) الذى أطلقه هو على نفسه..

وهكذا تعلمنا مـنه أن نفتـخـر بانتمـائنا للفـلاحـين ونعتـز

بمصريتنا..

ويستطرد مصطفى أمين فيقول:

لم تكن هناك أمتع من اللحظات التى نقضيها أنا وشقيقى نستمع فيها لجدنا سعد زغلول وهو يروى لنا قصصه المثيرة وحكاياته الممتعة عن محاولاته المستمرة للهرب من عيون الحكومة ومطاردة البوليس له.. فقد كان أسلوبه فى رواية هذه القصص شائقاً للغاية.

والأمر المؤكد.. كما يقول مصطفى أمين.. أن اتجاهه للصحافة وعشقه لها كان أحد التأثيرات الإيجابية للدروس التى تعلمها من سعد زغلول.. ويضيف:

جدنا سعد زغلول كان يؤمن بأن تكميم الصحافة أشد خطراً من إلغاء البرلمان.. وكان دائماً يقول أن الشعب الذى يفتقر لوجود صحافة حرة هو شعب أبكم لا يملك القدرة على الكلام. وإذا كان الإنسان حيواناً ناطقاً كما يقول العلماء فإن حرمان الشعب من الصحافة يعنى تحويله إلى شعب من الحيوانات.

ويحكى مصطفى أمين عن المواقف التى لم ينسها لجده ومنها موقفه من قانون الصحافة حين طلب من عبد القادر حمزة صاحب جريدة البلاغ أن تضرب كل الجرائد إحتجاجاً على صدور قانون الصحافة الذى صدر لتكميم الأفواه.. ويلمس مصطفى أمين مشاعر الفرحة والسعادة عند جده سعد زغلول وهو يسمع من عبد القادر حمزة عن موافقته

وموافقة باقي الصحف على الاضراب.. لكن هذه السعادة تنقلب إلى حزن حقيقي.. كما يقول مصطفى أمين.. عندما تعدل الجرائد موقفها وترفض عمل الأحزاب.. ويستطرد مصطفى أمين ويقول:

لم ييأس سعد زغلول وإنما راح يحرك الرأى العام.. فتنهال برقيات الاحتجاج على الحكومة والملك..

ويعلن الإنجليز أنهم أبرياء من القانون الجديد.. رغم أنهم شجعوا الملك على إصداره.. ويقف وزير الداخلية حلمى عيسى باشا فى ذلك الوقت - ويتهم سعد زغلول بأنه وضع مذكرة بقيود الصحافة أكثر سوءاً من القانون الذى فرضته الوزارة. .

ويتمادى وزير الداخلية فى اتهاماته فيقول أنه مستعد لإبراز مذكرة سعد إذا أنكرها.. وقد اعتمد وزير الداخلية فى ذلك على تجربته السابقة مع سعد زغلول.. فقد هاجمه مرة فى إحدى خطبه بميت غمر بعبارات بذيئة.. لكن سعد زغلول لم يرد وقال أن أدبه وحياءه يمنعانه من الرد على السفهاء. .

لكن سعد زغلول رد هذه المرة وقال أنه يتحدى وزير الداخلية لإبراز هذه المذكرة.

وكانت مفاجأة للوزير وللحكومة كلها.. واضطر وزير الداخلية لقبول التحدى وأعلن أنه سيدعو الصحفيين لمؤتمر صحفى فى مكتبه للإطلاع على المذكرة. ولم ينس أن يؤكد لهم أن دعوتهم لمكتبه بالإسكندرية ستكون على نفقة

الحكومة.

وفى الموعد المقـرر اكتـشف الصحفـيون أنه لا وجـود لهذه المذكرة التى يتحـدث عنها وزير الداخلية وانها مجـرد إقتراح لجنة من أعضـاء البرلمان والوزارة لوضـع قانون للصحافة.

وهاجم الصحفيون وزير الداخلية واتهموه بالكذب.. وطالبه سعد زغلول بتقديم اسـتقالته واضطرت الحكومة لنقله وزيراً للمواصـلات.. وكان ذلك يعنى تنزيله درجـتين.. فقـد كانت وزارة الداخلية فى ذلك الحين وزارة درجة أولى.. أما وزارة المواصلات فكانت من وزارات الدرجة الثالثة.

ويضيف مصطفى أمين:

كان سـعد زغلول يحـرص دائماً على الاسـتمـاع لرأينا فى خطبه وكـان يطلب منا أن ننقل له آراء زملائنا من التلامـيذ.. وكان يصغى لنا بمنتهى الاهتمام..

وهكذا أتيـحت لنا فـرصة تدريب مـجانـية على الاشـتغـال بالصحافة والسياسة.. فـقد تدربنا منذ الصغر على الاستماع لمختلف الآراء ومناقشتها وصياغتها.

وكما تعلم الصغيران من جدهمـا سعد زغلول دروساً كثيرة كان لهـا تأثيرها على حـياتهمـا فيمـا بعد.. تعلمـا أيضاً من جدتهما صفـية زغلول دروساً لم تقل أهمية عن الدروس التى تعلماها من زعيم الأمة.

سألت يوماً الأستاذ مصطفى أمين عن الصورة التى يحتفظ بها فى ذهنه لصـفية زغلـول أو أم المصريين كمـا كان يطلق

عليها فقال:

عرفت أم المصريين وعشت فى بيتها حتى أصبح عمرى ١٣ عاماً.. ففى منزلها تزوج أبى وأمى.. وولدت أنا وشقيقى وحملتنى صفية زغلول وضربتنى على ظهرى لحظة ميلادى فصرخت صرختى الأولى.. ولا زلت أصرخ حتى الآن.

ولا أنسى أبداً صورتها وهى جالسة على يمين سعد زغلول متصدراً مائدة الطعام.. ولم يحدث ولو مرة واحدة أن جلست هى فى صدر المائدة.. حتى عندما كان يغيب عن المنزل.. بل إنها حرصت على أن يظل مقعده شاغراً طوال مدة نفيه.. حتى بعد أن مات ظلت عشرين عاما تجلس على نفس المقعد الذى كانت تجلس عليه بجوار زعيم الأمة..

ويضيف مصطفى أمين:

كانت صفية زغلول مثالاً للإلتزام.. فكانت تضع البرقع الأبيض على وجهها ولا تنزعه إلا إذا كانت مسافرة مع زوجها إلى أوروبا فى الصيف.. وكان سعد زغلول يسمح لها بتناول الطعام مع أقرب أصدقائه

ومنهم قاسم أمين محرر المرأة والشيخ محمد عبده.. وكثيراً ما كانت صفية زغلول تناقشهم وتتحدث مع سعد عن الكتب الفرنسية التى قرأتها.. لكن ذلك لم يمنعها أبداً عن الإلتزام بدورها كست بيت فكانت تشرف بنفسها على إعداد الطعام وتنظيف البيت. .ولم تكن تخجل من أن تمسك بيدها الفوطة وتزيل التراب..

وكان أهم يوم بالنسبة لها هو يوم الأربعاء الذى كانت تقلب فيه المنزل رأساً على عقب فقد كان يوم التنظيف وكان يحلو لسعد زغلول مداعبتها فى هذا اليوم عندما تدخل غرفته وتطلب منه أن يتعجل فى إرتداء ملابسه والنزول إلى السلاملك لتنظيف الغرفة.. وكان سعد يفعل العكس فيتباطأ قدر استطاعته وكثيراً ما كان ذلك سبباً فى مضايقتها.. لكنها لم تسمح لنفسها أبداً بعصيان أوامره.. فقد كانت تطيعه طاعة عمياء إلا يوم الأربعاء الذى تقوم فيه بتنظيف البيت وتصر على أن يغادر حجرته لتنظيفها..

ويستطرد مصطفى أمين فى حديثه عن صفية زغلول فيقول:

تعلمنا منها أعظم الدروس فى الوطنية.. فذات يوم سقط شاب قتيلاً فى إحدى المظاهرات أمام بيت الأمة.. فقام المتظاهرون بلفه بعلم مصر.. وبعد أن تعرف عليه بعضهم حملوه إلى منزله بحارة جنينة ناميش فى مظاهرة شعبية وسرت أنا وأخى خلف المظاهرة بدون حتى أن نستأذن والدتنا.. وهناك فوجئنا بأم الشاب المقتول تقف فى نافذة بيتها وهى تزغرد.. واقشعرت أجسادنا وارتعشت مشاعرنا ونحن نرى هذا المشهد.. وعندما عدنا إلى بيت الأمة روينا لصفية زغلول ما رأيناه فقامت على الفور وارتدت ملابسها وطلبت منا أن ندلها على منزل هذه الأم الشجاعة. .. وعندما وصلنا طلبت منا انتظارها فى العربة وصعدت هى لمواساة

الأم وتشجيعها.

وهكذا كانت تفعل دائماً تذهب إلى بيوت الشهداء تواسى الأمهات وتعزى الزوجات وتقبل الأطفال اليتامى.

* * *

ومن بيت الأمة ينتقل مصطفى أمين وشقيقه الى دمياط وهى فترة أخرى اثرت فى نشأتهما تأثيرا إيجابيا.. وعندما سألت الاستاذ مصطفى أمين عن هذه الفترة قال: فى دمياط مررنا بتجربة مثيرة قلبت حياتنا رأسا على عقب.. فقد عرفنا لأول مرة معنى الحب.. وهكذا وجدنا أنفسنا أنا وشقيقى على فى حالة حب مع طفلتين صغيرتين هما حسنية وسعاد.. والحقيقة أن التجربة حركت قلبينا وجعلتهما ينبضان بمشاعر كثيرة وجديدة ومنها الرغبة فى التفوق لكى نكون محل تقدير واعجاب المحبوبتين..

وقد يتصور البعض أن التجربة كانت (لعب عيال) لكنها فى الحقيقة لم تكن كذلك بالنسبة لنا فقد جعلنا الحب نفكر ربما للمرة الأولى فى مستقبلنا..

وتتدفق ذكريات فترة وجود مصطفى أمين مع شقيقه فى دمياط على ذهنه فيقول:

أرادت والدتنا إلحاقنا بالمدرسة الابتدائية لكن سننا الصغير منعنا من الدخول فلجأت الوالدة الى صديقتها الحميمة والتى كانت تعمل ناظرة مدرسة ابتدائية للبنات فاقترحت الناظرة عليها فكرة غريبة وعجيبة وهى أن نطيل أنا وشقيقى على

شعورنا ونرتدى مريلة ونسمى أنفسنا صفية وعلية(!!!).. ووافقت والدتنا ودخلنا بالفعل المدرسة على أننا بنتان.. ومرت الحصة الأولى بسلام وكذلك الثانية ثم جاء وقت الفسحة.. وفجأة نسى شقيقى على كل التعليمات التى حفظتها لنا و الدتنا عن ظهر قلب فوقف فى حوش المدرسة ورفع مريلته وفعل مايفعله الناس فى دورة المياه.. وصرخت البنات فى فزع (ولد.. ولد)، وانتهت التجربة المثيرة فى نفس اليوم الذى بدأت فيه.

* * *

وفى دمياط عاش مصطفى أمين جانبا من ثورة ١٩١٩ ووجد نفسه هو وشقيقه على أحد الذين شاركوا فيها خاصة انهما عاشا أحداث الثورة الأولى وهما لايزالان فى القاهرة وعندما سألت الكاتب الكبير عن هذه الفترة التى كان لايزال فيها طفلا صغيرا لم يتجاوز الخامسة من عمره قال:

لا أزال أذكر أحداث الثورة وكأنها حدثت بالأمس..

ولايزال مشهد نعوش شهدائنا وهى تمر من امام بيت سعد زغلول يملأ عينى.. وقد عاصرنا فترة القبض على جدنا ونفيه الى مالطة ثم سيشيل ثم بعد ذلك جبل طارق..

ولايزال محفورا فى ذاكرتى اليوم الذى أحاط فيه الجنود بمنزلنا واقتحامهم أبوابه وتفتيشهم عن المنشورات والقنابل.. ومشهد المرأة المالطية التى صحبوها معهم لتفتيش صفية زغلول. .

ولازلت أذكر كيف تحـول بيت الأمة الى بيت حقـيقى للأمة أثناء فتـرة نفى سعد زغلول حـيث تحول الى مزار للشـعراء والادباء والخطباء.

ويستطرد الاستاذ مصطفى أمـين فى حديثه عن هذه الفترة فيقول:

من أهم ذكريات هذه الفتـرة اليوم الذى غادرت فيه صـفية زغلول القـاهرة لتلحق بزوجـهـا فى باريس بعـد أن نجـحت الثورة فى إرغام الانجليز على الافـراج عنه. . يومها تحولت شوارع الـقاهرة الى عـرس كبـير وكنا نشـاهد المواكب وهى تمر من أمام بيت الأمة والناس ترقص على أنغـام اغنية تقول كلماتها:

ايه اللى جرى النهارده ياحاج ياسين
بــــلادنا بتـلالى ونـاســـها مــزقططين

وفى هذه الايام رحل مصطفى أمـين مع شقيقـه ووالدتهما الى دمياط.. كان سنهما وقتـها يقترب من السابعة وكان فى استطاعتهما أن يرصـدا مظاهر الفرح فى دمياط بالافراج عن سعد زغلول كـما رصداها فى القاهرة.. وان كانت احـتفالات دمـياط كـما يقـول مصطفى أمـين أقل رونقا من احـتفـالات القاهرة. .

ويستطرد مصطفى أمين فيقول:

قررنا أنا وشقيقى أن نزيد من رونق الاحـتفالات فى دمياط فاتفقنا مع صديقنا جلال الدين الحمـامصى على إقامة مسرح

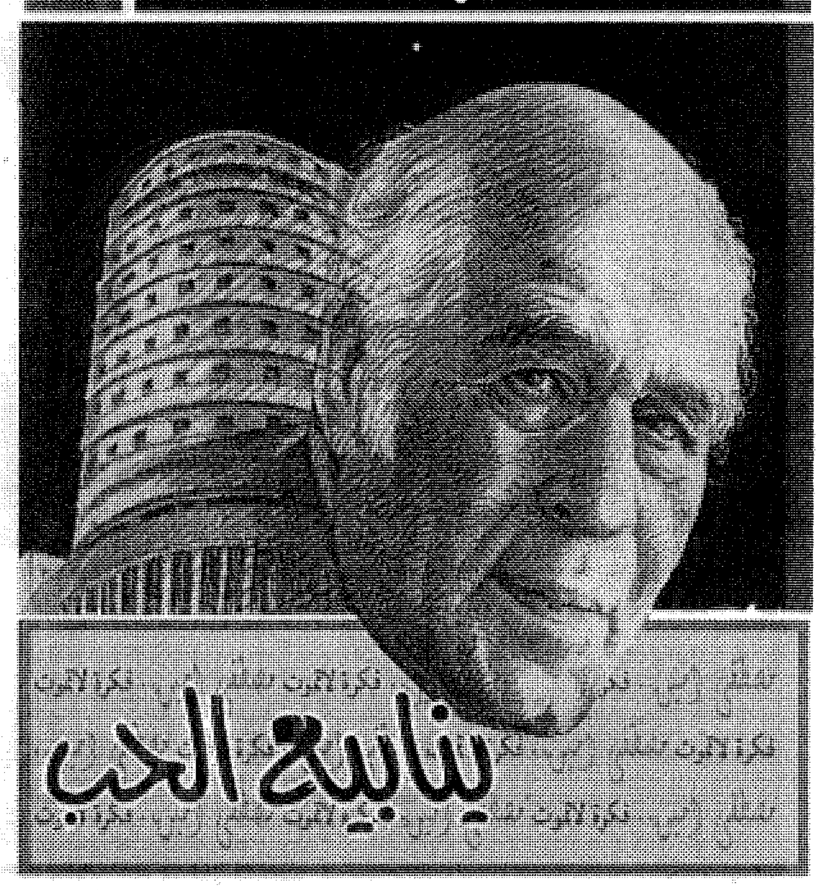
فى أحد الشوارع لنقدم من خلاله الأناشيد والاغانى التى كنا نسمعها فى القاهرة.. وأثار أول حفل إعجاب كل المشاهدين إلا واحدا.. والدنا الذى أعطانا علقة ساخنة.

ولم تمنعنا هذه العلقة من المشاركة فى الثورة والاحتفال بعودة سعد زغلول.. ولم يكن كل هذا لوجه الله.. فالحقيقة اننا اكتشفنا اننا نستفيد كثيرا من هذه المشاركة.. فقد كان بائعو البسبوسة والشيكولاتة أكثر كرما معنا من كل الاطفال.. وكان ذلك لأننا أقارب سعد زغلول..

وينتقل مصطفى أمين بحديثه الى منعطف جديد فيقول إنه شارك فعلا فى الثورة بطبع المنشورات عندما كان فى دمياط.. وقد حدث ذلك بعد أن عرف هو وشقيقه أن ابن عمهما الطالب بالمدرسة الابتدائية يطبع المنشورات بطريقة البالوظة وهى نفس الطريقة التى شاهداها فى القاهرة فى منزل سعد زغلول ورغم احساس مصطفى أمين بسذاجة المنشورات التى يطبعها ابن عمه إلا أنه طلب منه هو وشقيقه على أمين أن يشاركاه فى عملية طبع المنشورات.. وبعدها بدأ مصطفى أمين يشارك فى صياغة هذه المنشورات. ويبدو أن هذه المشاركة الايجابية قد أتت ثمارها فقد سمع يوما مصطفى أمين والده يقول لوالدته عن واحد من المنشورات التى وقعت فى يده أنه يعتقد أن هناك خلية ثورية فى دمياط تقوم بطبع هذه المنشورات.. ولم يدر بخاطره لحظة واحدة أن ولديه مصطفى وعلى هما هذه الخلية الثورية. .

ويستطرد مصطفى أمين فيقول: عدنا مرة أخرى للقاهرة ووجدنا أنفسنا وسط الأحداث.. ولم نضع الفرصة فقد شاركنا فى تهريب المنشورات التى كانت تطبع فى بيت الأمة وكنا نخرج بها أمام أعين رجال البوليس وقد وضعناها داخل كرة قدم وداخل جرادل الأطفال.. ولم يدر بخاطر رجال البوليس لحظة واحدة اننا نحن الأطفال وراء تهريب هذه المنشورات.

٣ مصطفى أمين .. فكرة لاتموت



كان مصطفى أمين يقول دائماً إن أجمل ما فى الدنيا هم الناس. . وكانت متعته الكبرى أن يعرف هؤلاء الناس. . يعرفهم من الخارج والداخل ويدرسهم ويحبهم. . وكان يؤكد أنه أحب الكثيرين. . لكنه لم يكره أحداً. كان مصطفى أمين تلميذاً وأستاذاً فى مدرسة الحب. . كان عطاؤه بلا حدود. . وشخص بهذه المواصفات لابد أن هناك من شارك فى تشكيل وجدانه وصياغة عواطفه ليجعل منه هذه الشخصية التى تحب الناس. . كل الناس.

وليس صعباً بالنسبة لشخص مثل مصطفى أمين أن تعرف من هم هؤلاء الذين شاركوا فى تشكيل وجدانه وصياغة عواطفه. . فقد ارتبط مصطفى أمين كثيراً بأسرته. . بأمه وأبيه وشقيقه على. . ومن بعد هؤلاء زوجته إيزيس طنطاوى، ومع هذه الأسرة الصغيرة تعلم مصطفى أمين أدق أسرار الحب! .

* * *

أحببت أمى ومن أجلها أحببت كل الأمهات. . كثيراً ما قرأت هذه الجملة على لسان الأستاذ مصطفى أمين فى العديد من الأحاديث الصحفية التى أجراها. . ولم يكن حب الابن لأمه وارتباطه بها شيئاً غريباً يختص به الأستاذ مصطفى أمين دون

غيره، لكني لاحظت من خـلال لقاءات كثيرة معه أن لشـخصية أمه أثرها الـعميق في تكـوين خصائص شـخصـيتـه الفريدة. . سألته. . لماذا كان الحديث دائماً عن أمك يثير في نفسك مشاعر خاصة. . صمت قليلاً ثم قال:

أنا مدين لأمي بالكثـير. . بالكثير جداً فـعلى الرغم من أنها لم تتخـرج من جامـعة بل انهـا لم تدخل المدرسة لكنهـا تعلمت من الحياة. فـقد رحل أبوها وهي لاتزال في سن الثالثـة ولحقت به أمها بعد ثلاثة أشـهر فقط، فكانت مشاعر اليـتم تحيط بها وهي لاتزال في هذا السن الصغير، ومرت بـها الأيام وانتقلت.للإقامة في بيت سـعـد زغلول سنوات طويـلة حـتي تزوجت من والدى وكان محـامياً في بداية طريقه لكن سعـد زغلول رحب به عندما عرف أنه ابـن الشيخ أمـين أبو يوسف أحد زعـماء المقـاومة في دميـاط والذى كان زمـيلاً لسـعد زغلول في الثـورة. وبعد أن بارك الزواج فوجيء بالعريس (والدى) يطلب أن يصحب زوجته للإقـامة معـه في دميـاط ودهشت صفـية زغلـول من موافـقة زوجها الـفورية على العريس دون أن يعرف عنه شـيئاً مكتـفياً بأنه يعـرف والده، وبالفـعل سافـر والدى إلى دمـياط وعندمـا حملت أمي أصرت صفية زغلول على أن تكون الولادة في بيتها بالقاهرة، وبالـفعل تمت ولادتي أنا وعلى في بيت سـعد زغلول، وكانت والدتنا حازمـة جداً في تربيتنا ودائماً مـا كانت توجه لنا التعليمات المشددة والتي كانت كثيـراً ما تثير حنقنا أنا وشقيقي. فالإحترام والأدب الجم هما أهم طقوس حياتنا التي اعتدنا عليها

مع مرور الزمـن، لابد من الوقوف احتـراماً لكل من يكـبرنا فى السـن. . لابد أن نستخدم كلمة من فضلك عندما نطلب كوب ماء من السفرجى. . أما كلمة «مرسيه» فهى ضرورة بعد قضاء أى طلب وهكذا. . ولم يحـدث أن قلت لهـا يومـاً «أنت» وإنما كنت أقول «حضرتك» وعندما تدخل أى مكان أتواجد فيه لابد أن أقف احتراماً لها حتى لو دخلت الغرفة وخرجت منها عشر مرات، ولا أذكر أننى جلست أمام أمى فى أية مـرحلة من عمرى وأنا أضـع رجلاً على رجل ولم يحدث أبداً أننى قمت بالتدخـين أمامها حتى بعد أن أصـبحت عضواً فى مـجلس النواب وأحد مالكى أخـبار اليوم وهكذا كان أخى على أمين. . علمـتنا أمى أن نتقبل الحياة بحلوها ومرها وان الجـهاد شـرف لابد أن نتحـمله، وكانت تكره الإنجليز بشدة، وكثيراً مـا وقفت أمام المحلات الإنجليزية تحث الزبائن على عدم دخولهـا تنفيذاً لنداء الثورة بمقاطعـة البضائع الإنجليـزية، وأذكر عنـدما حـصل أخى على أمـين على شهـادة البكالوريا عـام ١٩٣٠ وكان يريـد الذهاب إلى إنجلترا لدراسـة الهندسـة فكان الرفض الكامل من أمى، فقـد أقسمـت أن تقاطع الإنجليز سنة ١٩١٩، مما دعا والدى للإسـتعانة بالشيخ المراغى شيخ الأزهر وقـتئـذ الذى أفتى بأن قـسم أمى لا يمنع أخى من الدراسة فى إنجلترا. وسافر على لكن أمى رفضت أن تسافر له مرة واحدة لتـراه. . ويعترف مصطفى أمـين بأنه ورث عن أمه الإصرار والصمود بل والعناد أيضـاً، لكنه يتحدث عن حنان أمه ورقتها فيقول أنه يعـتقد أن الله خلق الملائكة فى صور أمهات. .

وانه عندما بلغ الأربعين كان يشعر بأنه عاد طفلاً أمام أمه التى كان حنانها يطوى السنين من عمره وان البشرية لم تكتشف حتى الآن شيئاً يستطيع ان يفعل الإنسان ما يفعله حنان الأم مع أولادها.

فلولا أمه ما واصل دراسته وما حصل عل شهادة جامعية بل وما دخل الجامعة أصلاً كما يقول فقد شغل موقع نائب رئيس تحرير مجلة روز اليوسف وهو فى السابعة عشرة من عمره. . كان يدرس فى المرحلة الثانوية ويترأس محررين يحملون شهادات جامعية فى الآداب والحقوق.

لم يكن يرغب فى مواصلة دراسته فى الجامعة وكان يشجعه على ذلك محمد التابعى رئيس تحرير روز اليوسف. . ولكن أمه أصرت على ان يواصل دراسته حتى حصل على ماجستير فى العلوم السياسية إرضاءً لها. . كانت تقنعه بالاستمرار فى الدراسة بدموعها. . ودموع الأمهات أقوى وسائل الاقناع فى الدنيا. . هكذا قال مصطفى أمين . .

لقد ضحت أمه بحياتها من أجل مستقبل ولديها على ومصطفى عندما بدآ فى إصدار (أخبار اليوم). . عرفت أنها مريضة بالسرطان ورغم ذلك أخفت مرضها. . كانت تشعر بنفس الأعراض التى رأتها فى خالتها وخالها عندما أصيبا بالسرطان، ومع ذلك ظلت تخفى معاناتها وآلامها طوال عامين كاملين وحتى انتشر المرض فى جسدها وتوفيت بسببه فى يوليو ١٩٤٧ .

وكثيراً ما سألت مصطفى أمين عن سر اشادته الدائمة بأمه وكتاباته الكثيرة عنها دون أن يشير إلى والده، وهل كانت علاقته بأبيه سيئة، فقال:

لعب والدى دوراً مهماً فى حياتى، فلم يكن يكره الصحافة التى عشقتها مثلما كانت أمى تبغضها. . ومع ذلك فقد كنت أشعر بأننى اختلف معه. . ريما أكثر من أمى. . فكثيراً ما كان يردد أمامى مقولة «إن من علمنى حرفاً صرت له عبداً».وقد كنت أكره العبودية بكل أشكالها. .

كان والدى لا يقسو علىّ أبداً ولا أذكر أنه ضربنى يوماً وكان كريماً سخياً، يقيم الموائد لأصدقائه. .

كان أبى متمرداً بطبعه وهكذا كان أبوه الشيخ أمين أبو يوسف المحامى، وأعتقد أنى ورثت عنهما هذه المسألة، لكننى أعترف أنى لم أرث طبيعة الإسراف والبذخ بل العكس.فقد كنت ألوم والدى على إسرافه.

ويواصل الأستاذ مصطفى أمين قائلاً:

أنا بالفعل أحب أمى أكثر من أبى وريما يكون السبب أنها لم تتركنا أنا وأخى أبداً منذ أن وعينا الدنيا وحتى رحيلها، بينما والدى كان كثير الأسفار وكانت طبيعة عمله تفرض عليه أن يقضى أياماً بطولها بل شهوراً متنقلاً بين مكتب المحاماة فى دمياط والمنصورة. . وكانت نصائح والدى باستذكار الدروس لا تنتهى، أذكر أنه دعانى مرة لمشاهدة فيلم كوميدى، وبينما أنا غارق فى الضحك على المواقف الطريقة التى أشاهدها لشارلى

شابلن، وجدت والدى يقول لى: أريدك أن تذهب بعد انتهاء الفيلم مباشرة لاستذكار دروسك، وبالطبع ضاعت مني بهجة الفيلم .

وكثيراً ما كانت حماقة الشباب تجعلنى أتوهم أننى أبعد نظراً من والدى، وأن آرائى أكثر تقدماً وعمقاً منه، وأعترف بأننى كنت أضيق بنصائحه وتوجيهاته التى لا تبتعد كثيراً عن تعليماته بضرورة التركيز على استذكار الدروس. . لكننى أدركت بعد مرور سنوات طويلة معنى نصائح والدى الذى كان أول معلم لى فقد علمنى الكثير من القيم التى ظلت تلازمنى طوال حياتى مثل الحرية والديمقراطية، فقد أنشأ أبى برلماناً من والدتى وشقيقى وأنا، وكثيراً ما ناقش هذا البرلمان الأسرى قضايا الأسرة.. صغيرها وكبيرها. . حتى اختيار الفيلم الذى سنشاهده كان يخضع للتصويت، وكان والدى يشجعنا على المعارضة ويقبل وجهات النظر التى تختلف معه. . كنت أضيق زرعاً من كراهيته للصحافة، وعلى الرغم من أن والدى لم يكن يكره الصحافة ذاتها لكنه كان ضد أن أعمل بالصحافة، وكان ذلك يمثل لغزاً بالنسبة لى. . كان والدى يختلف مع سعد زغلول فى كثير من الأحيان، وكنت أنا وأمى نكره هذا الاختلاف، فقد كان يناقشه كثيراً فى آرائه، ولم نكن أنا وأمى وشقيقى كذلك. .

ولا أنسى حديثه المستمر لى عن راحة الضمير، وكيف أنه يجب على الإنسان أن يرضى ضميره غير عابىء برضا الناس.

***

أقرب إنسان لمصطفى أمين على وجه الاطلاق. . شقيقه

وتوأمه على أمين. . وكان مصطفى أمين يقول عنه وعن علاقته به أنها بدأت بينهما فى بطن أمه قبل أن يرى الإثنان نور الدنيا ويواجهان معاً مصاعبها ومتاعبها.

وكان التشابه بينهما مذهلاً ليس فى الشكل فقط، وإنما فى الصوت أيضاً لدرجة أن الكاتب الكبير أنيس منصور لم يكن يستطيع أن يفرق بينهما عندما انتقل للعمل معهما فى أخبار اليوم عام ١٩٥٢. . وعن هذا التشابه المذهل يقول أنيس منصور.

لم أكن أفرق بين الأخوين عندما تركت الأهرام للعمل فى أخبار اليوم عام ١٩٥٢، حتى أصيب على أمين فى عنقه فعرفت أيهما مصطفى وأيهما على، وعرفت أيضاً أن الذى يصافحك ويعانقك وهو لا يعرفك فهو مصطفى، والذى لا يصافحك رغم أنه يعرفك فهو على، ثم عرفت أن مصطفى على استعداد لأن يضحى بك من أجل خبر وأن على أمين على استعداد أن يضحى بالخبر من أجلك. . لذلك فهما متكاملان. . وعرفت أن على أمين قد أدمن المستقبل ومصطفى أمين قد أدمن الحاضر. . وضحك علينا مصطفى أمين، فعندما مات على أمين قال إنه هو الذى مات، وفى اليوم التالى ظهرت مقالة (فكرة)، وكان التوقيع مصطفى أمين.

وكثيراً ما سألت الأستاذ مصطفى أمين عن الفرق بينه وبين توأمه. . الفرق الإنسانى والمهنى. . فكان يقول: ليست فروقاً كثيرة، فعلى سبيل المثال فإن أعصابى تحت جلدى، أما على

فكانت أعصابه فوق جلده. . كنت هادئاً، وكان على بركاناً ثائراً دائماً. . قلت هل شعر أحدكما يوماً بالغيرة من الآخر، وما هو نوع الخلافات التى كانت تنشأ بينكما، ضحك مصطفى أمين وقال لا يمكن أن يغار الإنسان من نفسه، وكنت أنا نفس على، وكان على هو نفسى، ونحن مثل كفين فهل تغار الكف اليمنى من الكف اليسرى. . كان كلانا يغار على أخيه ولا يغار منه. . فإن كان بيننا تنافس فقد كان فى الصفحة الأخيرة، يكتب كلمته وأكتب كلمتى. . كان يفكر بعقلى وكنت أفكر بعقله وكانت تحدث بيننا خلافات ولكنها كانت تنتهى بعد خمس دقائق على الأكثر . .

ويستطرد الأستاذ مصطفى أمين قائلاً:

صدقنى لو قلت لك إننى لا أعرف إن كنت مصطفى أو على أمين. . فقد كان تشابهنا عجيباً وكان من الصعب حتى على والدتى أن تفرق بيننا. وكانت تلجأ إلى حيلة عجيبة لكى تستطيع أن تفعل ذلك. . كانت تضع فى يدى شريطاً أزرقاً وفى يد على شريطاً أحمراً وكان يحلو لنا أن نبدل الشرائط حتى يختلط عليها الأمر. وكثيراً ما فعلنا ذلك لدرجة أننى لم أعد أذكر إن كنت مصطفى أمين أو على أمين.

بل انه حدث أن سافر على فى فترة الثلاثينات إلى انجلترا للدراسة. . وهناك قضى عامين. . وعندما حان وقت عودته ذهبت لاستقباله فى ميناء الإسكندرية. . ومن هناك اتصلت بوالدتى أخبرها بأننى على فصاحت متأثرة أنها حرمت سنتين

كاملتين من الاستماع لهذا الصوت. فقلت لها ضاحكاً بل كنت تسمعين هذا الصوت كل يوم فأنا مصطفى ولست علياً. . ولم تصدق وقالت أنها تعرف صوتى جيداً. . وأخيراً أعطيت سماعة التليفون لعلى فعرفت والدتى أنها كانت ضحية هذا «المقلب».

والواقع أن مثل هذه «المقالب» كانت مفيدة أحياناً. وكنا نستثمرها بين الحين والحين خصوصاً كلما أوقعتنا الظروف فى مواقف محرجة . .

فعلى الذى تزوج قبلى كان دائماً عرضة لمكالمات زوجته التليفونية الطويلة. . فكان يعطينى سماعة التليفون – إذا كان مشغولاً – وأتولى أنا استكمال المحادثة التليفونية من دون أن تدرك زوجته أن الذى يحدثها هو مصطفى وليس زوجها.

وعندما تزوجت للمرة الأولى. . طلبت زوجتى أن تقيم الفرح فى فندق «شبرد» القديم لكننى رفضت الفكرة ورفضت الجلوس فى الكوشة وكل الحاضرين يتفرجون علىّ وأصرت زوجتى وأسرتها. وأمام هذا الإصرار وافقت وبعد مرور خمس دقائق فقط على جلوسى فى الكوشة أحسست أننى غير قادر على تحمل هذه «البهدلة». . وطلبت من على أن ينقذنى فجلس مكانى حتى انتهى الفرح.

وكثيراً ما استخدم التوأمان هذا التشابه المذهل بينهما فى التغلب على المواقف المحرجة التى كانا يتعرضان لها، كما يقول مصطفى أمين ويضرب على ذلك مثلاً فيقول: كان شقيقى على يعمل سكرتيراً خاصاً لوزير الأشغال حسين سرى وحدث يوماً

أن وصل متأخراً عن موعده ساعة كاملة وعندما دخل المصعد فوجيء بحسين سرى - وكان وزيراً شديداً حازماً حاسماً ودقيقاً فى تعليماته - فوجيء به يدخل وراءه ويصرخ فى وجهه، كيف تتأخر يا أفندى ساعة عن موعدك ؟ وكيف تسمح لنفسك بركوب المصعد المخصص لكبار الموظفين ولم يجد على أمين من وسيلة تنقذه إلا أن ينتحل شخصيتي فصاح فى وجه الوزير قائلاً: كيف تعاملنى بهذه الطريقة . . أنا مصطفى أمين رئيس تحرير «آخر ساعة» ولست سكرتيرك. فتراجع الوزير وقال لعلى: يا أخى كنت أمزح معك . . فأنا أعرف أنك مصطفى ولست علياً . . وهل تصدق أننى لا أعرف سكرتيرى ؟

ودخل حسين سرى باشا مكتبه وطلب على أمين فدخل مكتبه بعد أن استبدل «كرافتته» بأخرى استعارها من زميله فى المكتب فإذا بحسين سرى باشا يقول له أنه كان يتصور أن شقيقه مصطفى أمين زكى ويفهم النكتة . . فهو لم يفهم أنه كان يداعبه فى المصعد.

وعلى الرغم من هذا كان ولاء على لعمله أكبر من أى شيء. فقد حدث يوماً أن دخلت مكتب مكرم عبيد باشا وزير المالية، وكان على يعمل مديراً لمكتبه فسلمنى ملفاً مكتوباً عليه «سرى للغاية» متصوراً أننى مدير مكتبه.

وإذا بعلى يدخل المكتب ويلمح الوزير وهو يسلمنى الملف فيخطفه من يدى وهو ينبه مكرم عبيد باشا إلى أننى مصطفى الصحفى ولست مدير مكتبه «على» .

* * *

قال عنها مصطفى أمين:

أنت المرأة التى أشعر معها بالأمان وأجد معها نفسى. . التى تمنيت أن أعشقها. . المرأة التى تؤمن بالقضية أكثر مما تؤمن بالرجل. . جمالها فى شخصيتها القوية وذكائها وحكمتها.

إنها إيزيس طنطاوى زوجة مصطفى أمين التى ارتبط بها وارتبطت به بعد أن جاءت لزيارته فى السجن فأحبها وأحبته وجعلته يتحول من رجل يستعد لختام حياته إلى رجل يستعد لكى يبدأها من جديد.

وكان سؤالى للكاتب الكبير مصطفى أمين عن النساء فى حياته وموقع ابنة عمته وزوجته إيزيس طنطاوى بين هؤلاء النساء فقال:

لأننى بشر مثل سائر البشر فقد عرفت فى حياتى نساء كثيرات، سيدات وغانيات، نجمات ومجهولات، مصريات وأجنبيات، ويضحك الأستاذ مصطفى أمين وهو يقول:

كان قلبى يشبه عمارة عالية. . عمارة مليئة بالشقق وفى كل شقة تسكن امرأة، حتى عرفت إيزيس وأحببتها فإذا بهذا الحب يحول كل النساء فى حياتى إلى أشباح.

ويحكى الأستاذ مصطفى أمين قصة تعرفه بزوجته إيزيس طنطاوى فيقول:

جاءت لزيارتى فى السجن وكانت تعرف أننى مسجون محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة. . كان عمرى وقتها

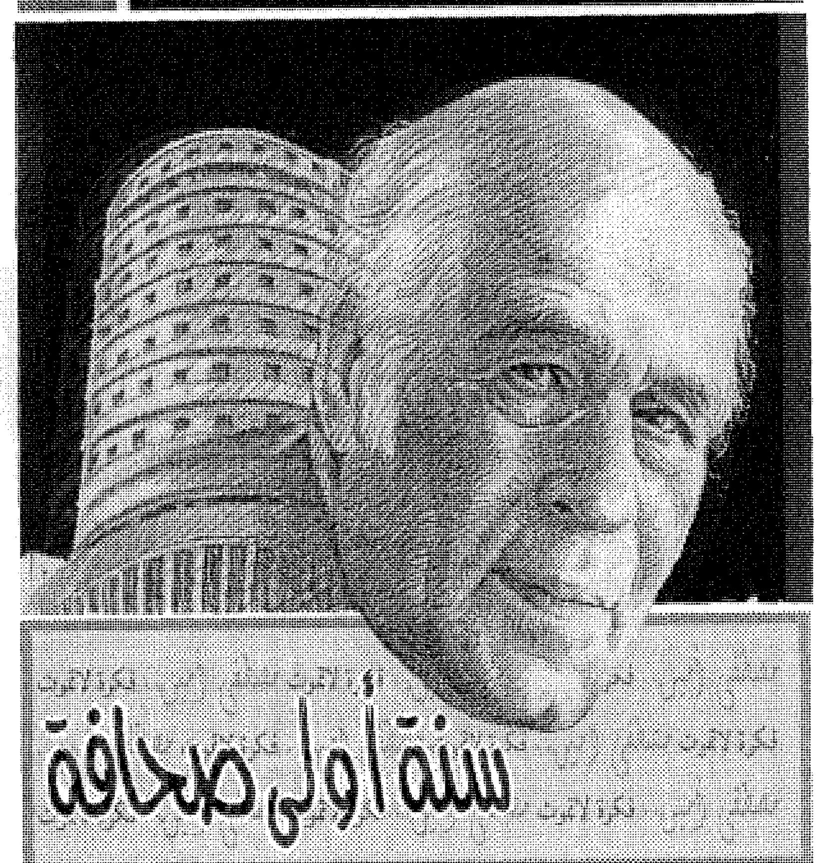
خمسة وخمسين عاماً. . وكان معنى ذلك أنه كان عليها أن تنتظرنى ربع قرن من الزمان لكى تتزوجنى وعمرى ثمانون عاماً. . ومع ذلك اختارت وهى شابة أن تحبنى. . وأحببتها. . وأحسست أن حبنا صادق من اللحظة الأولى. . وأصبحت بالنسبة لى الحقيقية الواحدة الثابتة فى حياتى. . وشعرت بحبها أننى أخذت من الحياة أضعاف ما أخذت الحياة منى.

ويستطرد الكاتب الكبير فى الحديث عن زوجته إيزيس طنطاوى فيقول: كانت تلعب دوراً هاماً فى تهريب رسائلى من داخل السجن. . كانت كأنها زعيمة عصابة. . فقد كانت تتسلم كل الرسائل وتتولى بنفسها توزيعها على الذين سيطيرون بها وراء الحدود.

وكانت لها قدرة عجيبة وهى تقود سيارتها على الهرب من الذين كانوا يراقبونها. . وحدث كثيراً أن وقفت على كورنيش المعادى ساعات طويلة فى انتظار من يأتى حاملاً رسائلى ليلقى بها فى سيارتها. . كانت تعلم أنها تخاطر بشبابها وحريتها وتعرض نفسها للسجن والاعتقال والحراسة ومصادرة الأموال.. من أجل رجل لن يخرج من السجن إلا بعد ٢٥ عاماً، لكنها بحريتها اختارت أن تقامر بحريتها.

وبعد رحلة الحياة الزوجية معها استأمنها مصطفى أمين على أهم عمل إنسانى قام به فى حياته وطلب منها أن تعمل كما كان يعمل ليظل مشروع ليلة القدر قائماً يقوم بدوره فى مساعدة الفقراء والمحتاجين والأيتام ومسجل ذلك فى وصيته.

٤ مصطفى أمين .. فكرة لا تموت



يبدو مثيرا للدهشة أن مصطفى أمين الذى يعد واحدا من ألمع وأشهر الصحفيين المصريين والعرب والذى حقق فى بلاط صاحبة الجلالة نجاحا لم يسبقه إليه أحد.. كاد أن يكره الصحافة والصحف فى بداية حياته..

أما السبب فلأن جده سعد زغلول كان ينفق كل صباح ساعة كاملة فى قراءة الصحف وكانت هذه الساعة التى يقضيها سعد زغلول فى الحمام تثير إلى أقصى درجة ضجر مصطفى أمين وشقيقه على خاصة أنها كانت تعطلهما عن مشاركة جدهما تناول طبق (عين الجمل) الذى تعود سعد زغلول أن يتناوله كل صباح..

لكن لحسن حظ مصطفى أمين وشقيقه.. وربما لحسن حظ الصحافة المصرية أيضا أن سعد زغلول نفسه كان أحد أهم الأسباب التى ساعدت على إزالة سوء التفاهم بين الشقيقين والصحافة فقد لمسا بنفسيهما اهتمام زعيم الأمة بالصحافة وسمعاه يطلق عليها اسم (صاحبة الجلالة)..

وعن تأثير سعد زغلول على الشقيقين واتجاههما للصحافة فى سنوات طفولتهما الأولى يقول مصطفى أمين:

كان اهتمام سعد زغلول بما تنشره الصحف عنه وعن

قيادته للحركة الوطنية اهتماما بالغا.. فكان يجمع كل ماتنشره جريدة الوقائع ويطلب منا أن نقرأه له بصوت عال.. وكثيرًا ما سمعناه يتحدث بمنتهى الفخر عن مشوار حياته الذى بدأه صحفيا..

كما سمعناه يتحدث عن أمله فى إنشاء صحيفة مصرية قوية.. وكثيرا ما رأينا عدداً كبيراً من أصحاب الصحف والكتاب يترددون على منزلنا.. وكان سعد زغلول يناقشهم فى مقالاتهم التى كتبوها ويبدى أيضا ملاحظاته حول (توضيب) الصحيفة.

أيامها كانت أخبار بيت الأمة تملأ كل الصحف.. واكتشفت أننى وشقيقى على نعرف كل هذه الاخبار وأكثر منها بحكم وجودنا فى منزل سعد زغلول.. وفكرنا فى كتابة هذه الاخبار فى كراسة منزلية واخترنا لها اسم «الحقوق».. حيث كانت هناك مجلة قديمة تحمل نفس الاسم فقمنا بانتزاع اسم المجلة وألصقناه على كراسة الآخبار وكان ذلك لأن الخط الذى كتب به اسم المجلة بدا لنا انيقا وبديعا.. فى الوقت الذى كان فيه خطنا نحن فى منتهى السوء..

كانت مجلتنا تحمل أخبار البيت الذى نعيش فيه.. ولأنه بيت الأمة فقد كانت المجلة تحمل أخبار مصر كلها.. وبدأنا ننشغل بهذه اللعبة الجديدة.. خاصة أنها أثارت إعجاب أفراد عائلتنا ومنهم صفية زغلول وسعد زغلول.. لكن والدتنا لم يعجبها أن ننشغل بالصحافة ونهمل دروسنا فأصدرت

فرمانا بمنعنا عن إصدار المزيد من الاعداد..
ولجأنا لجدتنا صفية زغلول وأدهشنا انها وقفت فى جانب والدتنا.. ولجأنا لجدنا سعد زغلول وتصورنا بحكم كونه ثائرا وصحفيا قديما أنه سيقف بجانبنا.. وصدمنا بأنه اختار الجانب الآخر.. وكان يقول لنا إن الصحافة مثل التعليم لا يجوز أن يشتغل بها الجهلاء.. لكن عشق مصطفى أمين وشقيقه للصحافة كان أكبر من كل هذه المحاولات.

* * *

سألت الكاتب الكبير مصطفى أمين عن سر استمراره فى إصدار الصحف رغم معارضة كل أفراد أسرته ومنهم سعد زغلول نفسه فقال: كان من المستحيل أن نتخلى عن هوايتنا ولذلك قررنا أن ننقل نشاطنا من المنزل الى المدرسة.. وقلنا لأنفسنا بدلا من أن يكون قراؤنا خمسة أفراد فلماذا لانجعلهم ٣٠٠ قارىء.. هم عدد تلاميذ مدرسة المنيرة الابتدائية.. وكانت المشكلة أن النسخة الواحدة التى نكتبها بخط اليد لن تكفى هذا العدد..
وهكذا فكرنا فى طباعتها على البالوظة وساعدنا على ذلك أننا عاصرنا طباعة المنشورات السرية بنفس الطريقة ببدروم البيت أيام ثورة ١٩.. ونجحنا أنا وشقيقى على فى نقل ماكينة البالوظة من البدروم الى السطوح.. وواجهتنا مشكلة الحصول على الورق لكى نطبع عليه المجلة فقمنا ببيع النسخ مقدما - قبل طباعتها - لزملائنا فى المدرسة.. النسخة مقابل

سن ريشة جديد.. وجمعنا هذه السنون ونجحنا فى استبدالها من احدى مكتبات شارع الفلكى بالورق الذى نحتاجه..

ورحنا نبحث عن مصدر للتمويل يضمن لنا استمرار صدور المجلة.. أيامها كانت شركة الشيكولاته قد أعلنت عن مسابقة جائزتها عشرة جنيهات كاملة.. ورحنا نشترى المزيد من قطع الشيكولاته التى نحبها كثيرا على أمل الفوز بالجائزة.. ولم يحدث ذلك واستمرت جريدتنا فى عدم انتظام صدورها بسبب التمويل..

ويستطرد مصطفى أمين فى حديثه عن تجربته مع الصحافة فيقول:

أحست والدتنا أننا عدنا لممارسة الصحافة التى منعتنا من الاقتراب منها.. وتصورت أن هناك عصابة من الأطفال غير المؤدبين هى التى تدفعنا لهذا العصيان فقررت الانتقال بنا الى دمياط بعيدا عن هذا الجو الموبوء بالتلاميذ الذين يهوون الصحافة..

وكان أول ما فعلناه بعد انتقالنا الى منزلنا فى دمياط هو البحث عن مخبأ سرى نواصل منه إصدار مجلتنا.. وساعدنا فى الحصول على هذا المخبأ جدتنا أم أبينا فقد كانت فخورة بأنها زوجة المرحوم الشيخ أمين يوسف الذى كان يصدر مجلة «نور الاسلام»..

وتعرفنا فى ذلك الوقت بزوج ابنة عمتنا احسان التى كانت تعيش معنا فى نفس المنزل بدمياط كان شابا متفتحا حصل

على بكالوريوس الهندسة من ألمانيا وكثيرا ما كان يحدثنا عن أوروبا ففتح لنا نافذة أتاحت لنا أن نطل على كثير من الافكار الحديثة..

وساعدنا ذلك على تطوير مجلتنا.. وأصدرنا بعدها مجلات أخرى منها البيان ومجلة حارة البابلى التى تضمنت تحقيقا صحفيا مثيرا عن التفاصيل الحقيقية لإطلاق الرصاص على سعد زغلول.. وتناولنا فى هذا التحقيق الظروف التى سبقت الحادث وكيف أن صفية زغلول اشتكت يومها لسعد زغلول من أن عينها (ترف) فنصحها بوضع قطرة.. وفعلت لكن عينها استمرت ترف حتى وقع الحادث..

* * *

وينتقل مصطفى أمين وشقيقه للمرحلة الثانوية فى التعليم.. وينشغل مصطفى أكثر من شقيقه بالصحافة فيلتحق بمجلة (روز اليوسف) ليصبح نائبا لرئيس تحريرها وعمره لم يتعد ١٧ عاما.. وعن هذه الفترة المثيرة من حياته يقول:

ورغم أننى عملت كنائب لرئيس تحرير مجلة روز اليوسف إلا أننى كنت محروما من توقيع مقالاتى وموضوعاتى.. وظللت طوال ثمانى سنوات أكتب فى روز اليوسف دون أن يعرف أحد من القراء أننى صاحب هذه المقالات..

لكننى كنت أشتاق إلى أن أرى اسمى منشورا بأى ثمن ووجدت فى مجلة المدرسة الفرصة فتقدمت بمقال وقعته باسمى.. ورفض الشيخ المنشاوى المشرف على المجلة المقال

بحجة أننى تلميذ صغير ورفض الدكتور ابراهيم عبده رئيس تحرير المجلة أيضا بنفس الحجة.. حجة أننى تلميذ صغير..

ويستطرد مصطفى أمين فيقول:

وجعلنى ذلك أشعر بالغيظ فقررت الانتقام بطريقتى الخاصة.. وهكذا ارتجلت أبياتا من الشعر المنثور أطلقت عليها اسم «التلميذ البليد» وادعيت أننى قمت بترجمتها عن الشاعر تشارلز ديكنز.. ووافقت إدارة المجلة على نشرها.. بعدما قمت بترجمة شعر آخر لشاعر مجهول اسمه ستيفانو.. والحقيقة أنه اسم لا وجود له ولكن إمعانا فى الانتقام من المجلة التى رفضت أن أكتب فيها مقالا أوقعه باسمى.. اخترعت فى هذه المرة الشعر واسم الشاعر!!

ومن الغريب بعد ذلك أن أنطون الجميل رئيس تحرير الاهرام كتب مقالا عنوانه «تقدم اللغة العربية فى مدارس البنات» واستشهد فيه بأبيات شعر ترجمتها طالبة بإحدى مدارس البنات عنوانها «التلميذ البليد» وصعقت وأرسلت خطابا للأستاذ أنطون الجميل أشرح له فيه أن الطالبة قامت بنقل هذه الترجمة من مجلة المدرسة التى نشرت فيها هذا الشعر وتولى الرد على وهاجمنى ناظرمدرسة البنات وقال إنه من السخف أن أتصور أننى صاحب النص وأن الطالبة لم تفعل أكثر مما فعلت أنا.. فقد قامت بترجمته كما قمت أنا بترجمته..

واضطررت لكشف السر فى خطاب آخر أرسلته لرئيس

تحرير الاهرام قلت فيه أنه لايوجد بين أشعار تشارلز ديكنز قصيدة واحدة تحمل اسم (التلميذ البليد) وأن الحكاية كلها من تأليفي واختراعي ورويت باقي الحكاية.. ومن يومها امتنع رئيس تحرير الاهرام عن كتابة مقالات عن تقدم اللغة العربية في مدارس البنات.

* * *

وعلى الرغم من الخصائص الوراثية التي كانت تجمع بين التوأمين مصطفى وعلى أمين والرابطة الوثيقة التي جمعتهما منذ ولادتهما والتي استمرت طوال رحلة حياتهما فإن نظرتهما للصحافة اختلفت في كثير من تفاصيلها، فبينما كانت الصحافة تلازم الدماء في شرايين مصطفى أمين الذي لم يكن يتصور لحظة واحدة أن تكون له مهنة سوى الصحافة.. كان على أمين يحب الهندسة حباً شديداً وكثيراً ما قام في طفولته برسم ماكيتات مبتكره للصحف التي كان يحلم مع توأمه بإصدارها، وكان ذلك من خلال أشكال هندسية دقيقة... لكنه في النهاية اتجه للصحافة والفضل في ذلك كان لمصطفى أمين.

وأسأل الأستاذ مصطفى أمين عن سر هذا التحول في مسار شقيقه على أمين فيقول:

أرسل لي على أمين رسالة يصف فيها تفاصيل رحلته من القاهرة إلى لندن على الباخرة أثناء سفره للإلتحاق بكلية الهندسة... واكتشفت أن الخطاب قطعة أدبية راقية تصلح

للنشر... فقمت بنشرها فـى روز اليوسف بعد أن حذفت منها المسائل الشخصية ووقعتها باسم «السندباد البحرى» .

وظل على أمـين طوال مـدة وجـوده فى لندن يبـعث لى برسائل... وظللت أنشرها موقعـه بنفس التوقيع وشجعه ذلك على أن يلتقى بشخـصية صحفية مـرموقة فى لندن ويجرى عدة مقابلات صحفية مـهمة هناك ويستطرد الأستاذ مصطفى أمين رواية تفاصيل هذه المرحلة فيقول:

أرسل لى على يعـبـر عن سعـادته بنشـر رسـائله فى روز اليوسف ويبلغنى بأنه أحب الصحافة وقـرر أن يعمل صحفياً واقتـرح أن نصدر جـريدة وأن يكون اسمـها (سعـد زغلول) لصاحبـيها (مصطفى وعلى أمين) وبدأ عـلى بالفعل فى عمل مـاكيت الجـريدة الجديدة التـى قررنا أن تصـدر اسبـوعيـاً، وعندما وصلنـى الماكيت حذفت كلمـة (لصاحبـيهـا مصطفى وعلى أمين) ووضـعت بدلاً منها اسم روز اليـوسـف ومحـمد التابعى.. لكن محمد التابعى لم يتحمس للفكرة وكان رأيه أنها لن تنجح، فـذهبت إلى تقـلا باشـا الذى كان يـصدر جـريدة الأهرام فشـجع الفكرة وتحـمس لها هو ومـحمود أبو الـفتح صاحب جريدة المصرى واقـترح أن يكون شريكاً فى الجريدة فوافـقنا... وقبل أن نوقع العـقد بسـاعات قليلة تراجـعا عن الفكرة.. ويبدو أن هناك إتصالات تمت مع التابعى جعلت تقلا باشا ومحمود أبو الفتح يعيدان النظر فى الفكرة .

وإذا أردنا أن نلخص رحلـة مـصطفى أمـين مع صـاحـبـة

الجلالة ـ نجد أن علاقة العشق قد بدأت منذ نعومة أظافره وبعيداً عن مرحلة الطفولة التى شهدت إرهاصات وبدايات ساهمت لاشك فى تشكيل وجدانه من خلال الظروف السياسية التى كان يتابعها منذ صباه فى بيت الأمة.. أما بداية المراحل الجاده فى مشوار الصحافة فكانت عام ١٩٢٨ وكان عمره وقتها لا يتجاوز الرابعة عشرة عندما أصدر مع شقيقه أول مجلة مطبوعة أطلقا عليها اسم (التلميذ) ومن خلالها كانا يهاجمان الحكومة التى أصدرت حكماً بتعطيلها ثم أعقبها مجلة (الأقلام) التى أغلقت هى الأخرى عام ١٩٢٩ ولنفس السبب (مهاجمة الحكومة) وكانت المرة الثالثة التى تغلق فيها مجلة بسبب هجوم مصطفى أمين على الحكومة عندما وضع فكرة كريكاتير لمجلة (الرغائب) فتم تعطيلها وإلى الأبد.. ومع بدايات ١٩٣٠ التحق مصطفى أمين بروز اليوسف التى تعرضت لنفس المصير: المصادرة!!.

فاشترك مع محمد التابعى وروز اليوسف فى إصدار مجلة (البرق) التى توقفت فى نفس الشهر الذى صدرت فيه، ولم ييأس مصطفى أمين الذى تملكه حب الصحافة فأصبحت تسرى فى دمائه فاستأجر مجلة الربيع التى صادرها مجلس الوزراء بعد أيام من صدورها وهكذا أيضاً كان مصير مجلة (صدى الشرق) التي استأجرها من صاحبها محمد عبد الهادى.. لكن مجلس الوزراء لم يمنح هذه المجلة أية فرصة للحياة فصودرت فى نفس يوم صدور العدد الأول منها

وراح مصطفى أمين يعمل مع محمد التابعى وروز اليوسف فى مجلة (الصرخة) بعد أن عمل لفترة وجيزة مع محمد توفيق دياب فى جريدة اليوم.

وشهد عام ١٩٣١ نشاطاً مكثفاً لمصطفى أمين - فعندما عادت مجلة روز اليوسف للصدور بعد توقفها لفترة عين مصطفى أمين نائباً لرئيس التحرير وهو فى السابعة عشرة ولم يكن قد سبق لصحفى فى مثل عمره أن تولى هذا المنصب الصحفى الرفيع.. وفى روز اليوسف حقق مصطفى أمين خبطات صحفية جيدة وبدأت شهرته تتسع وعلاقاته تتنامى. وفى منتصف عام ١٩٣٤ عمل مصطفى أمين فى جريدة الشرق وبعدها بعامين عمل مع شقيقه على وأستاذه التابعى ومحمود أبو الفتح وكريم ثابت عندما صدرت جريدة (المصرى)، وشهدت الفترة من عام ١٩٣٨ وحتى عام ١٩٤٤ نشاطاً صحفياً مكثفاً لمصطفى أمين الذى شغل العديد من المواقع الصحفية الهامة، والغريب أنه كان يتولى مواقع قيادية وصحفية مؤثرة فى أكثر من مكان - فقد تولى رئاسة تحرير مجلة آخر ساعة فى أبريل عام ١٩٣٨ وبعدها بعام واحد عمل رئيساً لقسم الأخبار بالأهرام بجانب رئاسته لتحرير آخر ساعة وبعد ذلك عين رئيساً لتحرير مجلة (الأثنين) التى كانت تصدرها دار الهلال بجانب عمله فى الأهرام بالإضافة إلى قيامه بالتدريس فى قسم الصحافة بالجامعةالأمريكية فى الفترة ما بين عام ١٩٤١ وعام ١٩٤٤ ومع اقتراب عام

١٩٤٤ من نهايته كان مصطفى أمين وتوأمه على قد قررا إصدار جريدة «أخبار اليوم الأسبوعية» ، ومع صدور أخبار اليوم بدأت مرحلة جديدة فى حياة مصطفى وعلى أمين.

* * *

كان مصطفى أمين نجماً لامعاً فى بلاط صاحبة الجلالة... وكان للكثيرين تأثيرهم المباشر وغير المباشر فى هذا اللمعان لكن يظل اسم محمد التابعى بين كل هؤلاء كواحد من أهم الشخصيات التى تأثر بها مصطفى أمين أكثر من غيرها.

وفى حواراتى العديدة معه كنت حريصاً على أن أتعرف على النبع الذى كان ينهل منه مصطفى أمين.. وعلى المدرسة الصحفية التى ينتمى إليها.. ومن هم الأساتذة بالنسبة له.. وفى كل مرة كان يقفز اسم (محمد التابعى) وفى حديثى التليفزيونى الذى سجلته معه أخيراً أعدت طرح هذا السؤال: (من هو الأستاذ) بالنسبة للأستاذ مصطفى أمين.. فقال:

الواقع أننى أعتبر نفسى تلميذاً لعدد من الأساتذة من بينهم عباس العقاد وعبد القادر باشا حمزة وفكرى أباظة، وعندما سافرت إلى الخارج تعلمت الكثير على يد (لورد بيبا جرونج) صاحب الديلى اكسبريس وكذلك على يد (هابى لوى) صاحبة مجلة (التايم)..

واستطرد الأستاذمصطفى أمين قائلاً: لكن يبقى الأستاذ التابعى بالنسية لى هو الأستاذ الذى تأثرت به أكثر من غيره حيث تابعت روز اليوسف منذ بداية صدورها وتأثرت

بأسلوبه الذى كان يمثل وقتها ثورة صحفية، وقد بدأ إعجابى بالأستاذ التابعى مبكراً.. بالتحديد فى عام ١٩٢٥.. كنت وقتها تلميذاً فى السنة الرابعة الابتدائية، وكان والدى قد اتخذ قراراً بالفصل بينى وبين شقيقى حتى يمكن أن نستذكر دروسنا وبالفعل أجلستنى والدتى فى مكتب سعد زغلول تحيط بى كتب اللغة العربية التى رسبت فيها استعداداً للملحق، وكانت فرصة لى أن أقلب فى مكتبة سعد زغلول حتى وقعت يداى على مجلات

(الهلال) و(المقتطف) وروز اليوسف التى وجدت فيها مقالاً للتابعى يتحدث فيه عن الممثلين والممثلات ـ ساعتها تمنيت أن أصبح صحفياً وظللت أتابع كتاباته الشيقة وأسلوبه السهل البسيط، وظل حلم العمل مع التابعى يكبر داخلى حتى تحقق.

وحياة التابعى تحتاج إلى مؤلفات كثيرة للحديث عنها فقد عاش التابعى بالطول والعرض.. رافق أصحاب الملايين وشاركهم حياتهم وجرب حياة الفقراء والصعاليك.. أما علاقاته النسائية فقد كانت قضية أخرى.

لمعت عينا الأستاذ مصطفى أمين وازدادت حماسته وهو يتكلم عن محمد التابعى فواصل حديثه قائلاً:

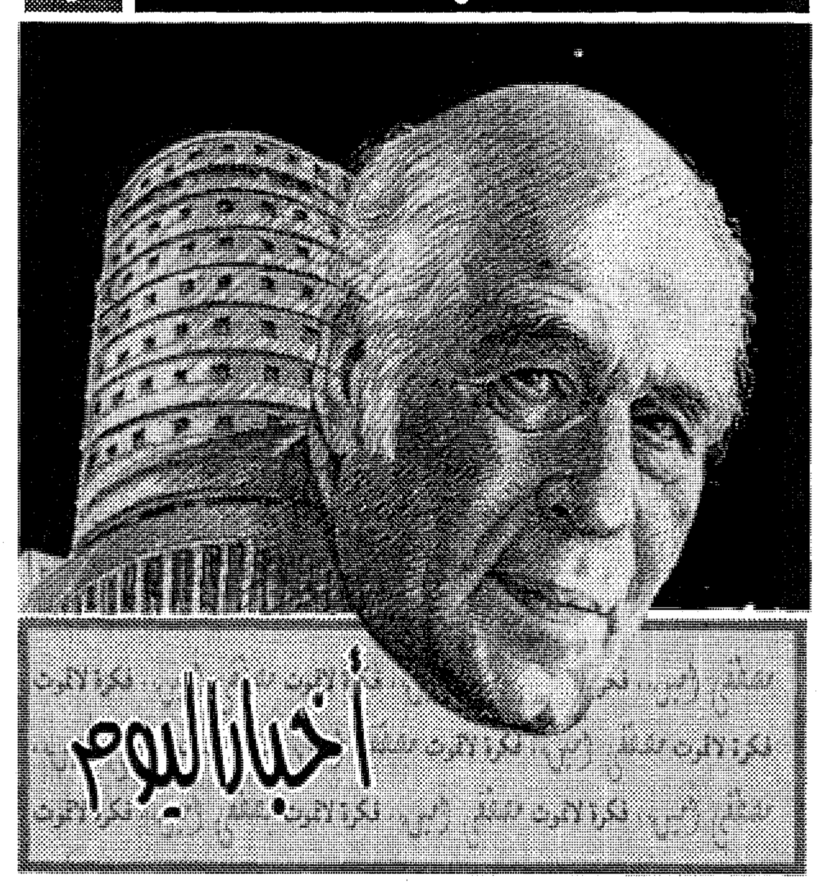
كان التابعى قارئاً.. نهماً تعلم الإنجليزية وأتقنها بل وكان يجيد الكتابة بها وعين لبعض الوقت فى جريدة الإجبشيان جازيت وأذكر أنه عندما صدرت مجلة روز اليوسف عام

١٩٢٥ عرضت عليه السيدة روز اليوسف العمل معها حيث كانت تربطها به صلة قوية وكان من أكثر المعجبين بتمثيلها وبعد أسابيع قليلة كان معظم الكتاب الكبار الذين بدأوا مع بداية صدور المجلة قد تركوها ولم يتبق سوى التابعى الذى كان يحرر المجلة كلها، واستطاع أن يضفى عليها أسلوباً مميزاً من خفة الدم فزاد توزيعها بشكل كبير ولم يكن التابعى يكتب اسمه على المجلة حيث كان وقتها موظفاً بمجلس النواب ـ وظل هذا الحال لمدة ثلاث سنوات كاملة.. وكان التابعى مولعاً بالكتابة عن الفنانين خاصة زينب صدقى، وعندما صودرت روز اليوسف للمرة الأولى ثم عادت زاد توزيعها بشكل ملحوظ حيث بدأ التابعى يوقع على مقالاته حتى أن باعة الصحف كانوا ينادون على المجلة باسم روز اليوسف والتابعى معاً!.

وظل مصطفى أمين مولعاً بكتابات محمد التابعى اللاذعة وأسلوبه الساخر الذى يقول عنه أن قلم التابعى أنيق.. رشيق.. كانت لديه أخلاق الفرسان فقد كان يدافع بقوة عن أشخاص لا يحبهم وأحياناً كان يهاجم بشراسة آخرين يكن لهم مشاعر الحب والمودة كان يندفع كالسهم ويصمد كالجبل.. يميل إلى المعارضة.. إن روح محمد التابعى كانت أقرب إلى الفنان منها إلى الصحفى وظل إرتباطه بالفن والفنانين أكثر من إرتباطه بالصحفيين والكتاب بل وبالسياسيين أيضاً.. وفى كل الأحوال فإن محمد التابعى لم

يكن يبدع إلا إذا كان هناك تحد يثير نشاطه وهنا تبرز عبقريته فإذا دخل حالة من حالات التحدى ظل يعمل ليل نهار دون كلل، وإذا أصابه الاسترخاء يظل شهوراً دون أن يكتب مقالا واحداً !

مصطفى أمين .. فكرة لاتموت ٥



«صاحبها ورئيس تحريرها.. مصطفى أمين».. هكذا صدر العدد الأول من أخبار اليوم فى عام ١٩٤٤... وبصدوره بدأت أكبر وأطول قصة حب عرفها مصطفى أمين فى حياته.. قصة استمرت أكثر من نصف قرن..

وهكذا ارتبط اسم مصطفى أمين بأخبار اليوم وارتبطت به.. برغم النجاح والشهرة التى حققها خلال عمله بالجرائد والمجلات المختلفة ... ومنها مجلة الاثنين التى كانت تصدر من دار الهلال وآخر ساعة التى كان يرأس تحريرها محمد التابعى، والأهرام التى عمل فيها مصطفى أمين رئيساً لقسم الأخبار والجهاد التى كان يملكها توفيق دياب وغيرها ..

كانت أخبار اليوم بالنسبة لمصطفى أمين حلم حياته.. يكفى أنها كانت السبب الرئيسى فى أن تغير والدته وجهة نظرها.. فقد كانت تكره الصحافة والصحفيين وكانت تدعو ليلاً ونهاراً أن يبعد ولداها مصطفى وعلى عن هذا المصير.. لكن بعد صدور أخبار اليوم وبعد النجاح الذى حققته أدركت الأم أنها كانت مخطئة

ويحدثنا مصطفى أمين عن هذا التغيير الجذرى فى موقف

والدته من الصحافة بعد صدور أخبار اليوم فيقول أنها سافرت إلى باريس للعلاج ومن هناك بعثت له برسالة تقول فيها:

« ان سروری بنجاح أخبار اليوم عظيم جداً ... لا أستطيع أن أصف لكما شعوري وأنا أمسك جريدتكما بيدى، يكفى أن تعلما أن جميع محاولات الأطباء لا تستطيع أن تخفف آلامى كما يخففها أن أمسك بيدى جريدتكما، وأنا أحس وأنا أقرأها بأنفاسكما وأحلامكما وتنهداتكما وضحكاتكما، ان أخبار اليوم وآخر ساعة تسليني في مرضى ووحدتى وغربتي.. ولا يسعد الأم أكثر من أن ترى أولادها يشقون الطريق بأيديهم ويعتمدون على أنفسهم ..

وقد كنت أكره الصحافة لأني أحبكما وأخشى عليكما من مخاطرها ومتاعبها وعذابها.. واليوم أصبحت أحبها لأنكما تحبانها ولأنكما أعطيتما لها حياتكما.. وأصبحت أشعر بأن صحيفتكما أشبه بخطابات أسبوعية تصل إليّ منكما تحمل أخباركما وتطمئنني عليكما وتقول لى كل ما أريد أن أسمع.. إننى أقرأ فى سطورها أكثر مما يقرأ الناس كأنها رسالة خاصة من ولدين إلى أمهما.. فيها كل شيء تريد أنْ تعرفه عنهما.. وهذا فضل من الله على.. لا أظن أن هناك أما تتلقى خطابات أسبوعية من ولديها بحجم جريدة أخبار اليوم ومجلة آخر ساعة»..

***

ومن الغريب أن يأتي صدور أخبار اليوم فى وقت حقق فيه مصطفى أمين نجاحاً كبيراً وشهرة فى عالم الصحافة.. وأصبح راتبه يفوق راتب رئيس وزراء مصر كما كان يقول أستاذه محمد التابعي .

ويروى مصطفى أمين تفاصيل هذه الفترة فيقول:

عرض عليَّ أمين زيدان صاحب دار الهلال أن أتولى رئاسة تحرير مجلة الاثنين.. وقبلت.. واستطعت أن أقفز بأرقام توزيعها من ١١ ألف نسخة فى الأسبوع إلى أكثر من ١٣٠ ألف نسخة.. وكان الاتفاق المكتوب بيني وبين أمين زيدان أن أحصل على نسبة ١٠ ٪ عن كل زيادة فى التوزيع.. وهكذا أصبحت أتقاضى ألفين ثم ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف جنيه سنوياً فوق راتبى .

ثم حدث أننى اختلفت مع مصطفى النحاس باشا.. وكان ذلك أثناء حادث ٤ فبراير الشهير والذى تولى بعده النحاس باشا رئاسة الوزارة.. وقتها قام بتعيين رقيب فى كل صحيفة وكان الرقيب الذى يكلف بالعمل فى مجلة الأثنين أكثر تعاسه من غيره من الرقباء فقد كنت أنجح فى أن أمرر بين السطور ما لا يستطيع الرقيب أن يلاحظه.. والنتيجة أنه كان يتعرض للرفت .

وهكذا تعاقب الرقباء على مجلة الاثنين لدرجة أن مصطفى النحاس نفسه قال بعد أن فاض به الكيل أنه سيتولى بنفسه

عمل الرقيب بالنسبة لمجلة الاثنين ..

ورغم ذلك كتبت مقالاً أهاجم فيه النحاس والإنجليز.. واعترض أصحاب مجلة الاثنين على المقال وقالوا ان مجلة الاثنين مجلة محايدة ولا يجوز أن تورط نفسها فى خلاف مع رئيس الوزارة فقلت لهم ان العقد بينى وبينكم يقول ان مجلة الاثنين مجلة مستقلة وإذا كانت المجلة المحايدة تنقل كل وجهات النظر فإن المجلة المستقلة تضيف لذلك وجهة نظرها ..

وأصروا.. وأصررت.. ولم يكن هناك من حل إلا تقديم استقالتى.. يومها كتب محمد التابعى فى آخر ساعة مقالاً يتعجب فيه من الصحفى الذى يستقيل من مجلة يحصل منها على راتب يفوق راتب رئيس الوزراء ..

وفوجئت بأن عدداً كبيراً من المحررين الذين كانوا يعملون معى فى مجلة الاثنين يقدمون أيضاً استقالاتهم.. لم أطلب منهم ذلك.. لكنهم استقالوا لمجرد التعبير عن تضامنهم مع موقفى ..

وفى هذه الأثناء فكرت فى إصدار جريدة يومية تبدأ أسبوعية بشكل مؤقت.. وحصلت فعلاً على تصريح بإصدار أخبار اليوم.. وكان من الطبيعى والمنطقى أن يأتى للعمل معى كل زملائى الذين تركوا مجلة الاثنين.. وبسرعة رحت أبحث عن مقر للجريدة ونجحت فى استئجار شقة ضخمة مكونة

من ١٤ حجرة فوق سطح إحدى العمارات بشارع قصر النيل.. وكان أول انطباع لزملائى من المحررين الذين جاءوا للعمل معى أن الشقة أكبر من اللازم.. فضحكت وأنا أقول لهم سنكتفى بحجرتين ونتوسع فى باقى الحجرات كلما زاد عددنا.. وبالفعل زاد عددنا وجاء للعمل معنا مشاهير الصحفيين ومنهم كامل الشناوى الذى كان يعمل فى الأهرام ويتقاضى راتباً شهرياً ١٢ جنيهاً فأعطيناه نحن مائة جنيه وكذلك أحمد الصاوى ورخا وغيرهم من الصحفيين اللامعين الذين كانوا لا يتقاضون أكثر من ١٠ جنيهات شهرياً فأعطيناهم نحن مائة جنيه كان هدفى هو أن أثبت للجميع أن أخبار اليوم صحافة جديدة تحترم الصحفى وتقدره كما تحترم المهنة.. ومن أجل ذلك فكرنا فى ضرورة وجود سيارات لانتقال الصحفيين.. وأكثر من ذلك.. شجعنا الصحفيين على اقتناء سيارات خاصة.. فكانت أخبار اليوم تدفع لهم مقدمات السيارات التى يشترونها بأنفسهم.. وهكذا أصبح أمام دار أخبار اليوم ٣٦٠ سيارة.. وهى مسألة لم تكن معروفة على مستوى الصحف الموجودة فى ذلك الحين..

وكان حرصنا على هذا المعنى أكثر عندما قمنا ببناء دار أخبار اليوم الجديدة فقررنا أن تكون مكاتبها وأثاثها على أعلى مستوى حتى يشعر كل محرر فى مكتبه بأنه رئيس تحرير.

ويستطرد مصطفى أمين فى حديثه عن مدرسة أخبار اليوم فيقول:

البعض يتهم أخبار اليوم بأنها تنتمى لنوعية صحافة الإثارة والمبالغة وهذا غير صحيح.. والصحيح أنها صحافة إثارة غضب الحكام.. فقد نجحنا فى تقديم أسلوب جديد للقارىء جعلنا لا نهتم كثيراً بالحاكم وارضائه على حساب قارئنا.. ثم إننا أصحاب مدرسة متميزة فى تقديم الأخبار التى كان لها أسلوب رتيب فى معظم الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى ذلك الحين ..

وعلى سبيل المثال كانت الجرائد تكتب وتقول:

استيقظ حضرة صاحب الفضيلة الشيخ الظواهرى شيخ الجامع الأزهر.. وبعد أن أدى صلاة الفجر دعا للمسلمين ثم بعد ذلك نزل إلى الطابق الأول واستقبل فضيلة الشيخ فلان والأستاذ كذا شيخ المعهد الفلانى.. وبعد ذلك استقبل سيادته فلاناً وفلاناً ثم ذهب إلى مجلس الوزراء وكان فى استقباله الأستاذ ميشيل ساويرس تشريفاتي المجلس. وبعد أن حياه اتجها إلى المصعد ثم صعدا معاً إلى مكتب رئيس الوزراء الذى استقبله مرحباً وقدم له القهوة وبعد ساعة خرج وسأله مندوب الجريدة فقال خير إن شاء الله وبعد ذلك وبعد كتابة ما تقدم علمنا أن فضيلة الأستاذ الأكبر قدم استقالته لرئيس الوزراء .

أما أخبار اليوم فكانت تبدأ الخبر بنبأ استقالة شيخ الأزهر.. وتأتى التفاصيل بعد ذلك .

وأسأل الأستاذ مصطفى أمين إلى أى مدى استطاعت أخبار اليوم أن تحافظ على طابعها رغم ابتعاده عن إدارتها فيقول:

تأميم الصحافة كان ضربة لأخبار اليوم وكل الصحف الأخرى، بل أتصور أن هذه الضربة أثرت على الصحافة العربية لأن دولاً كثيرة وجدت مبرراً مشجعاً بعد إقدام مصر على تأميم الصحافة لكى تؤمم هى الأخرى صحافتها.

وإذا كانت أخبار اليوم قد احتفظت بشكلها، فإنها لم تستطع الحفاظ بروحها ببساطة لأنها حين صدرت كان الهدف من صدورها أن يعرف الشعب الحقيقة.. كل الحقيقة.. وبعد التأميم وبعد وجود رقابة، لم يعد فى إمكان أخبار اليوم قول هذه الحقيقة.

واعترف أن المسألة تحسنت الآن.. لكن لاتزال هناك قيود، ومنها قانون الصحافة الذى يمتلىء بالمواد الغريبة ومنها مادة تقول أن من يصدر جريدة ويموت ترثه الحكومة، ويتضمن القانون أيضاً أن رئيس التحرير يعين ويمكن فصله وذلك من قبل المجلس الأعلى للصحافة، لكن ذلك لم يحدث أبداً، لم يحدث أن تدخل المجلس الأعلى للصحافة وقام بتنصيب رئيس تحرير، وإنما هو يوقع فقط على تعيينه، ولذلك فإن المجلس الأعلى للصحافة فى رأيى يشبه مجلس

الآباء فى المدارس.

وأنتهز فرصة الحديث عن مدرسة أخبار اليوم، وأسأل الأستاذ مصطفى أمين عن سر هجوم صحف أخبار اليوم على جمال عبدالناصر فيقول:

وهل معارضة حكم الفرد يعتبر هجوماً على عبدالناصر، نحن لم نهاجمه وإنما هاجمنا الديكتاتورية، وتصور البعض أن هجومنا على الديكتاتورية هجوم شخصى على عبدالناصر.

والحقيقة إننى وقفت فى صف جمال عبدالناصر فى البداية لكننى دائماً كنت أقول إن من مصلحة مصر أن تكون هناك ديمقراطية، وكان عبد الناصر يتقبل هذا الكلام فى البداية، لكنه بعد ذلك لم يعد قادراً على عمله، ولو أنه استمع لهذا الرأى وأخذ به لما عشنا نكسة يونيو، ولما حدثت نكستنا الاقتصادية.

ثم إننى على المستوى الشخصى أحب عبدالناصر بل إنه كان صديقى لفترة طويلة، لكننى لا أبنى مواقفى على الاعتبارات الشخصية، ولعل ذلك هو ما حدث مع أنور السادات، فقد تصور الناس أننى لابد وأن أقف معه لأنه أعطانى حريتى، لكن الحقيقة لم أستطع أن أقبل أن يعطينى أنا الحرية ويسلبها من الآخرين.

* * *

كانت أخبار اليوم تنتقل من نجاح إلى نجاح وكان ذلك بفضل مصطفى أمين الذى قدم لأخبار اليوم كل ما يستطيع

من جهد ووقت وعشق ..

وكان أكثر ما يميز أخبار اليوم الخبطات الصحفية التى كانت تنفرد بها والتى كان مصطفى أمين وراء معظمها .

سألته يوماً عن أشهر خبطاته الصحفية فقال:

فى عام ١٩٤٦ دعانى صدقى باشا رئيس وزراء مصر للسفر معه إلى لندن لتغطية المفاوضات التى سيقوم بها مع الإنجليز.. وفى المطار فوجئت بأنه وجه الدعوة لخمسة صحفيين آخرين من جرائد ومجلات مختلفة.. وضايقنى ذلك خاصة أن الخمسة كانوا لايسمحون لى بالانفراد بصدقى باشا والحصول منه على أى معلومات خاصة.. وكانوا ينقلون لصحفهم كل ما يدور بينى وبينه..

وبحثت عن طريقة تخلصنى من هذا المأزق.. وعرفت أن هناك موظفة فى وزارة الخارجية البريطانية تتولى تدوين محاضر اجتماعات صدقى ورئيس وزراء بريطانيا.. فسعيت للتعرف بها.. وبالفعل نجحت فى دعوتها للغداء وطلبت منها تزويدى بنسخة من محاضر الاجتماعات فأكدت لى استحالة ذلك وقالت انهم لا يعطونها إلا ورقتين اثنتين فقط. تكتب واحدة وتطبع الأخرى بالكربون وتسلم رئيس وزراء مصر ورئيس وزراء انجلترا النسختين ولاحظت أثناء حديثها أنها فتحت حقيبتها وأخرجت منها بعناية ورقة ملفوفة.. فلما فتحتها اكتشفت أن اللفافة عبارة عن قالبين من السكر

وضعتهما فى قهوتها.. فأعطيتها السكر الخاص بى ولاحظت فرحتها وامتنانها بتصرفي.. وسألتها ماذا تفعل لو أعطيتها صندوقاً كاملاً من السكر فقالت على الفور أعطيك حياتى.. فقلت لها لا أريد حياتك.. كل ما أريده ورقة الكربون التى تستخدمينها فى كتابة محاضر الاجتماعات.. وبسرعة قمت إلى غرفتي وأحضرت علبة من علب السكر التى أحضرها معه صدقى باشا لتقديمها كهدايا للوزراء البريطانيين بسبب أزمة السكر التى كانت تعانى منها بريطانيا فى ذلك الحين ..

وهكذا نجحت فى الحصول على محاضر الاجتماعات عن طريق ورق الكربون الذى كنت أقوم بقراءته فى المرآه.. وانفردت أخبار اليوم بتفاصيل هذه الاجتماعات.. وأغضب ذلك الإنجليز الذين تصوروا أن صدقى كان يسرب لى ما يدور فى هذه الاجتماعات.. وأغضب ذلك صدقى باشا الذى تصور أن الإنجليز هم الذين سربوا لنا تفاصيل الاجتماعات ..لدرجة أنه اتهمنى بأننى السبب فى فشل المفاوضات بينه وبين الإنجليز.. ولم يعرف أحد أن ورقة الكربون هى السبب..

ويستطرد مصطفى أمين فى الحديث عن خبطاته الصحفية التى جعلت أخبار اليوم تنفرد بأهم الأخبار فيقول:

عرفت خبر تأميم قناة السويس قبل أن يعلنه عبد الناصر.. بل عرفت أن عبد الناصر نفسه هو الزعيم الحقيقى لثورة

يوليو ولذلك نشرت صورته منفرداً فى الصفحة الأولى من الأخبار ونشرت صور باقى ضباط الثورة فى الصفحة الثالثة.

واسأله عن المانشيت والعنوان اللذين لم ينسهما رغم مرور كل هذه السنوات فيقول:

المانشيت الذى لم أنسه هو المانشيت الذى كتبته يوم سفر جمال عبد الناصر إلى باكستان يومها تصادف نجاح رجال الأمن فى مصر فى محاصرة السفاح الشهير الذى سبب الرعب لمصر كلها وقتلوه. فكتبت المانشيت الرئيسى «مصرع السفاح» وتحته عنوان آخر يقول «عبد الناصر فى باكستان» وكان المفروض أن يكون هناك خط فاصل بين العنوانين لكن المطبعة نسيت هذا الخط فظهرت الأخبار بمانشيت رئيسى يقول «مصرع السفاح عبد الناصر فى باكستان» وقد غضب عبد الناصر كثيراً بسبب هذا الخطأ لدرجة أنه بعث ببرقية من كراتشى يقول فيها إن مصرع مصطفى أمين سيكون فى القاهرة.

أما العنوان الذى لم أنسه فكان عنوان مقال كتبه الدكتور عبد الرحمن بدوى بعد حضوره مؤتمراً للمستشرقين فى ميونخ وكان موضوع المقال عن الذين تهجموا على الرسول صلَّى الله عليه وسلم لكننى وجدت أن المقال لا يصلح للنشر فى جريدة أخبار اليوم وإنما ممكن أن يكون صالحاً لمجلة

متخصصة فى الفلسفة فطلبت من أنيس منصور أن يعيد المقال بأسلوبه ويحاول تخفيفه واندهش أنيس منصور لطلبى لكنه فعل فأعطيته مكافأة خمسين جنيهاً ووضعت عنواناً للمقال الذى أعاد صياغته أنيس منصور وكان العنوان (مؤامرة على النبى محمد) .

ويعترف مصطفى أمين بأن الصدفة لعبت دورها أحياناً فى حصوله على بعض خبطاته الصحفية ومنها السبق الذى حصل عليه فى عام ١٩٤٦ من صدقى باشا رئيس وزراء مصر والذى كان يستقل الباخرة معه فى طريقه إلى أوروبا.

يقول مصطفى أمين: أيامها كان يتردد كلام عن تغيير وزارى، فسألت صدقى باشا فنفى هذا الكلام تماماً وقال أنه سيخصنى بتصريحات خاصة عن القطن ولم أجده موضوعاً مثيراً للاهتمام فاعتذرت له بعدم وجود ورق معى فطلب منى أن أفتح حقيبته وآخذ ما أحتاج من ورق فلما فتحتها وجدت ورقة تحمل أسماء التشكيل الوزارى الجديد وبسرعة حفظته عن ظهر قلب ولما عدت لصدقى باشا راح يمليني تصريحه عن القطن وتظاهرت بأننى أكتب ما يمليه على بينما الحقيقة أننى كنت أدون أسماء الوزراء فى التشكيل الجديد قبل أن أنساها وانفردت أخبار اليوم بأنباء التشكيل الجديد .

وكما يقول مصطفى أمين فإن الصدفة وحدها كانت وراء إنفراد أخبار اليوم بخبر أحدث أزمة وزارية لأن الملك لم يكن

يعلم عن هذا التغيير أية معلومات .

أما الذى لم يقله مصطفى أمين فهو أن الصدفة لا تأتى إلا لمن يستحقها .

***

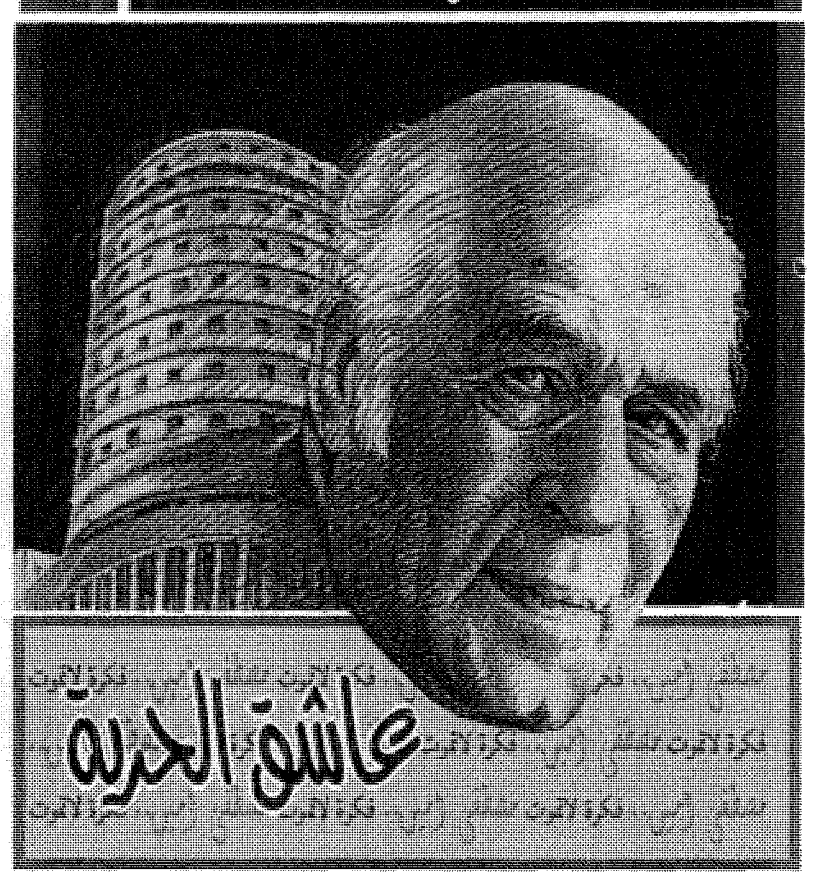
واليوم وبعد أن أصبحت أخبار اليوم واحدة من كبريات الصحف في المنطقه، وبعد أن أضافت العديد من الاصدارات الجديدة والمطابع الجديدة والآمال الجديدة، وبعد أن حققت خلال السنوات الخمس الأخيرة أرباحاً بلغت ٢٠٦ ملايين جنيه.. لابد لنا أن نتوقف عند هذه الحقائق التى يذكرها الرجل الذى يقود المرحلة الحالية من مسيرة أخبار اليوم.. فيقول الكاتب الكبير إبراهيم سعده رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم:

إن أبرز سمات دار أخبار اليوم، وأكثرها أهمية، هو أنها تتقدم إلى الأمام سنة بعد أخرى، بحيث يتحقق الشعار السهل الممتنع الذى تعلمناه ودرسناه وتناقلناه عن مؤسسى وصاحبى هذه الدار ـ الأستاذ مصطفى أمين والأستاذ على أمين ـ الذى يقول: «دارنا اليوم أفضل من الأمس، وأقل من الغد» .

ليس معنى أن دار أخبار اليوم فى التسعينات أكثر نجاحاً وأرباحاً عنها فى فترة السبعينات أو الثمانينات، أن أعضاء مجلس الإدارة فى الفترة الحالية أفضل من زملائهم الذين

سبقوهم، وإنما معناه الوحيد هو أن القلعة الصحفية العملاقة - التى يقوم أبناء دار أخبار اليوم بتشييدها - تحتاج إلى جهد متواصل ومستمر تتوارثه الأجيال، ويتحمل كل جيل مسئولية الانتهاء من بناء وتشييد جانب من مرتفعات وطوابق تلك القلعة، وبالتالى فيجب ألا يتصور البعض أن ما تحقق اليوم جاء من فراغ، أو أن الذين سبقونا أهملوا، أو تقاعسوا عن أداء واجبهم، لأن الحقيقة غير ذلك تماماً. فمجالس الإدارات السابقة، قامت - الواحد بعد الآخر - باستكمال وتطوير ما سبق تشييده وبناؤه .

إن من يحق له أن يقول أنه أسس وشيد وارتفع بدار أخبار اليوم، وخطط حاضرها ومستقبلها، هما: مصطفى أمين وعلى أمين، أما من جاء وتولى المسئولية والقيادة بعدهما.. فهو لم يفعل أكثر مما كان منتظراً منه .


٦
مصطفى أمين .. فكرة لا تموت
عاشق الحرية

في حياة مصطفى أمين قضايا عاشت في وجدانه ودافع عنها طوال حياته دون كلل ..

وتأتي قضية الديمقراطية والحرية على قائمة هذه القضايا .. وهذا أمر طبيعي بالنسبة لرجل مثله نشأ وتربى في بيت تسوده الديمقراطية .. كان والده يدربه هو وشقيقه على الديمقراطية .. كان كل شيء في البيت يتم بالتصويت .. لا قرار فيه بدون رأى الأغلبية ، ولذلك كان يطالب كل أب وأم أن يعودوا أولادهم وبناتهم على المناقشة الديمقراطية كما طالب بإدخال الديمقراطية في المدارس والمعاهد .

لم يكن على استعداد لتقديم أي تنازلات فيما يتعلق بهذه القضية .. كان يطالب أن تشترك الأمة كلها في حكم نفسها .. ويرى أن من حق الشعب أن يختار حكامه وأن يعزلهم.. كان شديد الإيمان بالشعب وبحكم الشعب

بالديمقراطية .

وأذكر أننى عندما سألته ذات يوم من هو الأستاذ والتلميذ بالنسبة لمصطفى أمين ؟ قال الأستاذ هو الشعب المصرى والتلميذ هو أنا .

كان يؤمن بأن الديمقراطية تلغى الفوارق بين الشعب والحكام .. وأن من حق الشعب أن ينقد ويرفض ويناقش ويحاور وأن يعرف كل شىء .. فهذه هى الديمقراطية وهذه هى الحرية .

ويحكى لى مصطفى أمين درساً تلقاه فى الحرية عندما سافر إلى أمريكا فى سنوات شبابه الأولى ، ويقول :

بعد أن رفض والدى دراسة الصحافة فى مصر سافرت إلى الولايات المتحدة لدراسة العلوم السياسية كان ذلك فى عام ١٩٣٥ ، وظللت هناك حتى عام ١٩٣٨ ورغم هذه المسافة الطويلة فإننى لم أنقطع عن الصحافة ، فقد ظللت أراسل جريدة المصرى ومجلة «آخر ساعة» ، وربما كان أكثر ما انبهرت به فى أمريكا هو الحرية .. فكرة الحرية .. وكيف يستطيع أى إنسان أن يقول رأيه فى كل شىء وأى شىء حتى فى رئيس الجمهورية ، فإنه يستطيع أن

يهاجمه من دون أن يسجن .

كنت بالضبط كالذى جاء فى بلد يبحث عن نسمة .. نسمة صغيرة من الحرية فإذا بى أعيش فى بلد يتنفس الحرية .

ولعل أكبر الدروس التى استفدت منها صحفياً هو أننى تعلمت أن الصحافة المستقلة تنجح أكثر من أية صحافة .. وأن ولاءها الوحيد يجب أن يكون لوجهة النظر المستقلة فقط.

وذات يوم سألت مصطفى أمين : إنك تقود تيار التفاؤل والأمل بين كتاب الأعمدة فى الوطن العربى ، هل ترى أن مبررات هذا التفاؤل قوية رغم كل الظروف التى نعيشها ؟ أجاب قائلاً :

أنا كنت أكتب عن الحرية وأقول أنه سيأتى وقت يعيش فيه الاتحاد السوفيتى فى الحرية فى الوقت الذى لم يكن فيه أى إنسان يأمل أن يعيش ليرى هذا اليوم وذلك لأننى مؤمن بالمبادىء وليس بالأشخاص ، وأنا أعتقد أن معظم البلاد العربية الآن ستتأثر بما حدث فى البلاد الشيوعية .. لأن حكم الفرد الذى كان موجوداً فى الاتحاد السوفيتى

شجع كثيراً من بلاد العالم الثالث على اعتناق حكم الفرد .. إننى لم أكن أحلم بأننى سأعيش حتى أرى ما حدث فى الاتحاد السوفيتى ، تمنيت هذا لكن لم أحلم به .

وعندما سألته : من وجهة نظر مصطفى أمين .. كيف تكون العلاقة بين الحرية والصحافة وإلى أى مدى يرتبطان ؟

قال :

عندما لا توجد حرية لا توجد صحافة والعكس صحيح ، انظر إلى عمالقة الصحافة فى تاريخ مصر الصحافى أمثال العقاد وطه حسين وفكرى أباظة وعبدالقادر حمزة وأحمد حسن الزيات والتابعى وتوفيق دياب والدكتور محمد حسين هيكل .. ولدوا وعاشوا فى عصر الحرية ، عصر ثورة ١٩١٩ ، إنك تستطيع أن ترصد هذه الظاهرة ، ليس بالنسبة للصحافة فقط ، وإنما أيضاً بالنسبة للفن والموسيقى والاقتصاد والعلوم والرياضة وكل المجالات . ففى هذا العصر ولد عبدالوهاب وولدت أم كلثوم وطلعت حرب والعالم مصطفى مشرفة والرياضى النابغة سيد نصير وغيرهم .

أما فى الأجيال التى تلت هذا الجيل ، فقد ولد قصار القامة والأقزام ، فالصحافة وغيرها من الفنون مثل الزهور تحتاج للشمس والهواء حتى تنمو وتترعرع ، أما إذا وضعتها فى غرفة مغلقة لا يدخلها الهواء ، ولا تدخلها الشمس إلا بقدر يسير فإن النتيجة إنها ستنمو ضعيفة ذابلة .. إذا لم تمت .

وفى الحقيقة إننى أندهش كثيراً من مسألة تعيين الحكومة لرؤساء التحرير ، لأنه إذا لم يكن من حق الحكومة تعيين قراء فليس من حقها تعيين رؤساء للتحرير ، ولذلك تجد أن الذى كان يختار رئيس التحرير ويعينه فى عصر الحرية هو الشعب ، هو القارىء .

عبد القادر حمزة مثلاً ، وطه حسين ، وتوفيق دياب ، والتابعى وغيرهم .. ومن الغريب أن تعرف أنه عندما كان تعدادنا ١٤ مليوناً كان عندنا ١٢ جريدة يومية ومائة جريدة ومجلة أسبوعية ، من سبعين عاماً كان عندنا هذه الصحف والمجلات .

إن هناك بعد هذا كله نظرية صحيحة تماماً وهى أن الحرية تمنع الكثير من الفساد ، ففى مناخ الحرية لا

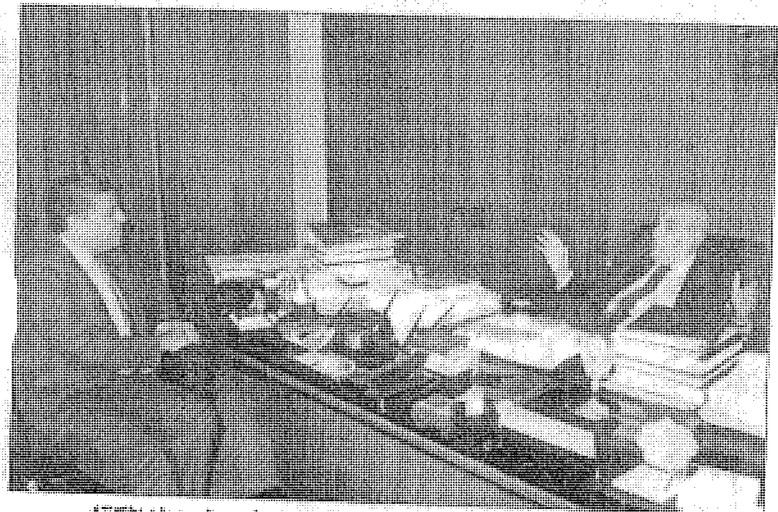
يستطيع مسئول أو وزير أن يرتكب عملاً مخالفاً للقانون . لا يستطيع أن يرتكب حتى خطأً بسيطاً لماذا ؟ لأنه يعرف أن الصحافة تقف له بالمرصاد ، زمان كان الوزير أو المسئول الذى يرتكب خطأً واحداً يخرج فوراً من الوزارة . أما بعد ذلك فقد أصبح فى إمكان هذا الوزير أو ذلك المسئول أن يبقى فى موقعه مهما ارتكب من أخطاء . وليس معنى هذا أن الحرية تضر بالمسئول أو بالوزير . العكس هو الصحيح ، ففى رأيى أن الحرية تحمى الحاكم قبل أن تحمى الشعب .. تحميه من نفسه وضعفه ، لأنه سيعمل ألف حساب للصحافة التى يمكن أن ترفع صوتها عند أى مخالفة له .

وأضاف مصطفى أمين قائلاً : لكن الحقيقة أننا إذا أردنا تقييماً لمدى تمتع الصحافة حالياً بالحرية فعلى سبيل المثال أقول لك أنه لم تحذف لى كلمة فى عهد الرئيس حسنى مبارك لكن قبل عهد الرئيس مبارك كان يحذف لى أحياناً ثلاثة سطور من «فكرة» ، وأحياناً ستة سطور ، وأحياناً نصفها ، وأحياناً كلها ويقولون لى أكتب فكرة أخرى ، هذا ما كان يحدث سابقاً ، أما فى عهد الرئيس مبارك فأذكر أنه كانت قد حدثت أزمة بين بعض كتاب

أخبار اليوم وهم جلال الحمامصى وأحمد أبو الفتح وأنا
وبين رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم ودعانا الرئيس
مبارك للإجتماع وقال لنا ليس لى خبرة بالصحافة فكيف
أستطيع أن أحكم بين أكبر الصحفيين فى مصر ؟ فأرجو
أن تجتمعوا وما تتفقون عليه أنا موافق عليه ، ومنذ ذلك
اليوم لم تحذف لى كلمة..



● الاستاذ مصطفى أمين يسلم المؤلف شهادة تقدير



● الاستاذ مصطفى أمين يروى جانبا من فصول هذا الكتاب



جوائز
جمعية مصطفى أمين وعلى أمين للصحافة
سنة ١٩٩٦ السابعة

شهادة تقدير

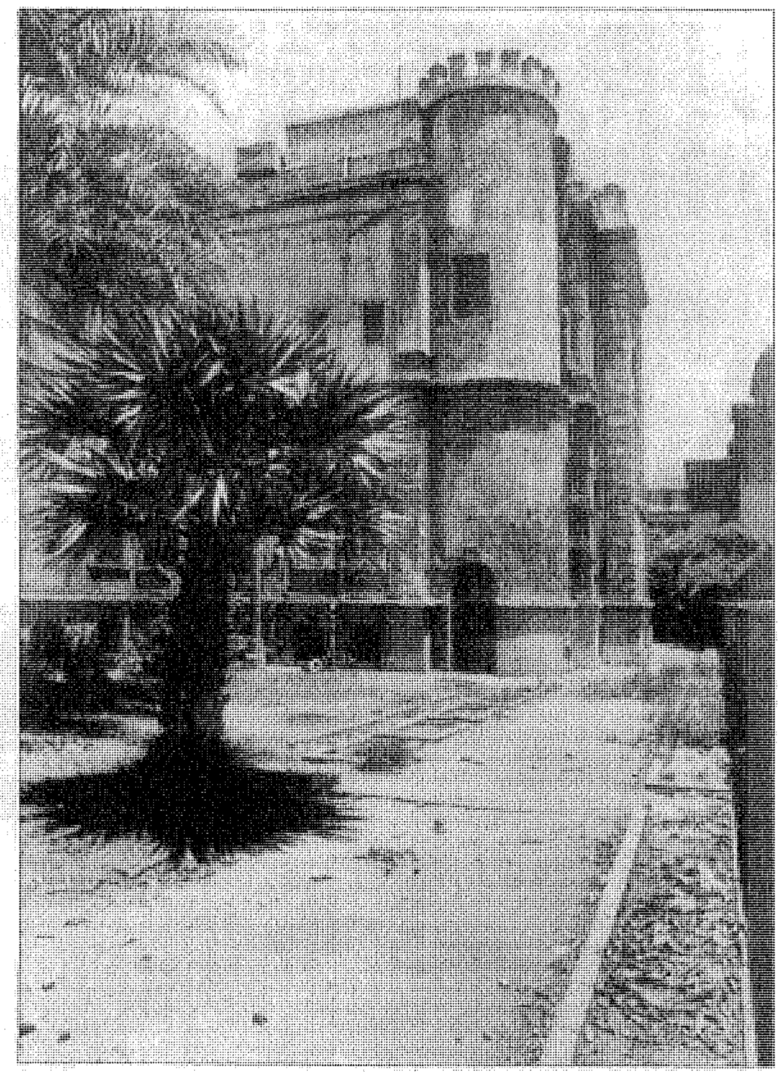
تمنح للأستاذ / محمد مصطفى

● جائزة جمعية مصطفى وعلى أمين للصحافة التى منحها للمؤلف



مصرع السفاح
عبد الناصر فى باكستان
الرئيس يصل إلى كراتشى اليوم

● المانشيت الذى آثار أزمة



● بيت الأمة



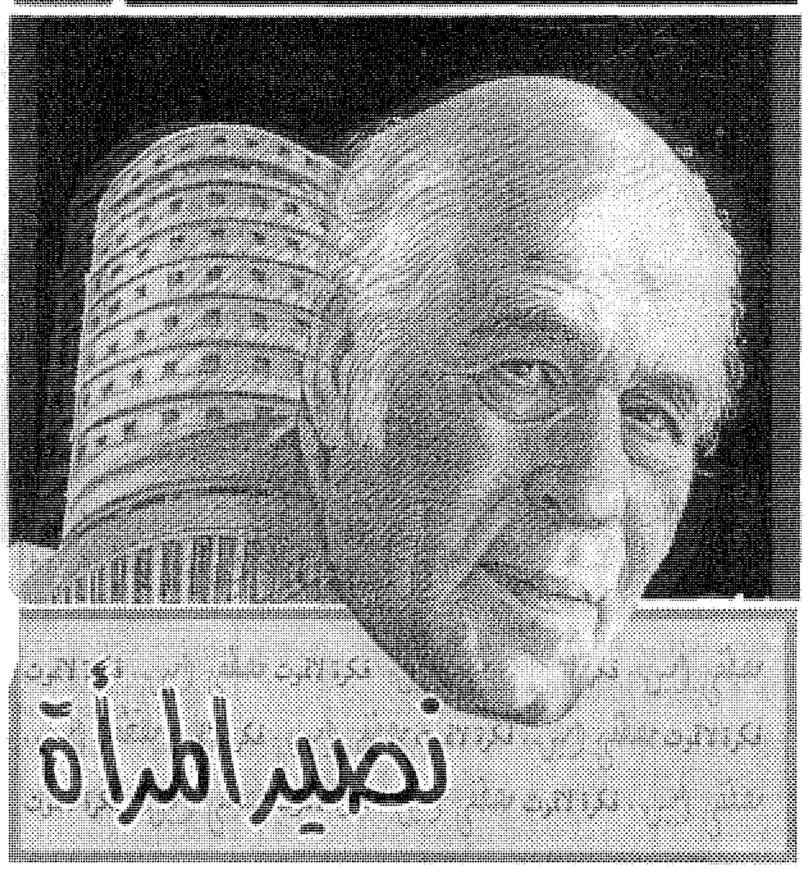
● الأستاذ مصطفى أمين مع السيدة قرينته



● مصطفى امين مع الرئيس حسنى مبارك



● مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر



نصير المرأة

فى الحديث التليفزيونى الذى أجريته مع الأستاذ مصطفى أمين سألته كثيراً عن رأيه فى المرأة.. أجاب الرجل وأفاض.. قال كلاماً كثيراً يمجد فيه المرأة وينصفها، بل ويوحى بالإنحياز لها - قلت له لو كان هذا الحوار التليفزيونى حواراً صحفياً وطلبت منك أن تضع له مانشتاً فماذا تقول؟.. أجاب على الفور:

«مصطفى أمين.. نصير المرأة».. لت أنت إذن تسير عكس التيار الذى سار فيه كتاب ومفكرون أمثال العقاد وفكرى أباظة وتوفيق الحكيم.. قال ضاحكاً: على فكرة إوعى تصدق أن أحداً من هؤلاء كان عدواً للمرأة، أنا أعرفهم جميعاً.. خذ مثلاً توفيق الحكيم الذى ملأ الدنيا هجوماً على المرأة، كان يحب ويعشق.. كان يقدم الورود لمن أحب ويدعوها على العشاء.. رغم أنه كان يحزن على قيمة العشاء وباقات الورود.. الواقع أن توفيق الحكيم كان يبحث عن امرأة مفكرة تبادله الحوار والفلسفة، ولم يكن يهتم كثيراً بأن تكون المرأة جميلة أو جذابة أو أى شىء من هذا القبيل، ومع ذلك فرغم مقاومة توفيق الحكيم طويلاً وإصراره العنيد، فقد اعترف لى عندما تزوج سيدة مطلقة ولها ابنتان فى الوقت الذى كان

يضع سياجاً حديدياً على هذا الزواج، وأخذ الحكيم يبرر لى أسباب هذا الزواج المفاجىء بأنه زواج عقل وأن الهدف الأساسى منه هو تأسيس بيت يصلح لحياة كاتب وفنان وأنه لم يتزوج إلا بعد أن وقّعت زوجته على قائمة طويلة عريضة من الشروط التى لم تشهد البشرية لها مثيلاً، وكان فى مقدمة هذه الشروط ألا يعلم أحد بزواجه.. هذه الشروط بلغ عددها خمسة عشر شرطاً.. ولم أسمع عن معارضة الحكيم لتكوين حزب بنت النيل الذى شكلته الدكتورة درية شفيق، ولا المحاولات التى استمرت بعد ذلك لإقامة تجمعات وأحزاب نسائية.. والحكايات كثيرة عن الذين رفعوا لواء معاداة المرأة ثم سريعاً ما سلموا سلاحهم وإن حرص البعض أن يكون التسليم سراً ودون ضجيج.

وظل مصطفى أمين يحكى لى أسراراً كثيرة وتفاصيل عديدة عن أعداء المرأة، فقال خذ عندك مثلاً فكرى أباظة الذى زادت محاولات زواجه عن العشر محاولات.. لكن الفارق بين فكرى أباظة وتوفيق الحكيم أن الأول كان لاييأس من المحاولة بينما الثانى يخفى كل محاولة.. والحكايات لا تنتهى عن فكرى أباظة أشهر عازب فى مصر، لكن الشىء المهم أن فكرى كان يذوب حباً فى النساء.. أما العقاد فقصته معروفة مع مى وسارة، ثم جاءت هنومة الفتاة البسيطة التى عشقها رغم أنها كانت تصغره كثيراً فى السن والتى لم تكن سوى الفنانة مديحة يسرى.. ورغم أن العقاد صدم كثيراً فيمن أحب

مى، وسارة، وهنومة وغيرهن لكنه أبداً لم يكره النساء كما كان يتردد عنه.

وهكذا أراد مصطفى أمين بحكاياته عما كان يشاع عن مواقف هؤلاء الكتاب والمفكرين من المرأة أن يؤكد أن هذه المواقف كانت مجرد إشاعات وأنهم كانوا يشاركونه تقديرهم للمرأة وحبهم لها رغم كل ما قيل عنهم.

لقد كان مصطفى أمين شديد الإيمان بأهمية دور المرأة فى المجتمع، وكثيراً ما كان يقول إننى مدين بكثير من أسباب نجاحى للمرأة.. ولذلك فقد كافح كثيراً من أجل حصول المرأة على كافة حقوقها وخاض حرباً طويلة فى الأربعينات على صفحات أخبار اليوم طالب فيها بإعطاء المرأة حق الانتخاب حتى أن أئمة المساجد إتهموه بالكفر والإلحاد، وأصدروا فتوى بأن كل من يقرأ جريدة أخبار اليوم فهو كافر.. ومع ذلك لم ييأس مصطفى أمين وظل موقفه حتى قيام ثورة ١٩٥٢ وطلب من جمال عبدالناصر أن يعطى المرأة حق الانتخاب.. ولكن عبدالناصر كان يرجىء اتخاذ هذا القرار تجنباً لإثارة الرأى العام على الثورة فى سنواتها الأولى.

وفى إحدى لقاءاتى به حكى لى مصطفى أمين واقعة طريفة كانت وراء تعجيل جمال عبدالناصر باتخاذ هذا القرار. ففى إحدى زيارات الرئيس اليوغسلافى تيتو لمصر تعجب من أن كل الذين يقفون على جانبى الطريق لاستقباله وتحيته من الرجال، ولم يشاهد بينهم امرأة واحدة.. وهنا سأل الرئيس

عبدالناصر: هل سجنتم كل نساء مصر ؟.. إن كل الذين يقفون على طول الطريق من الرجال ولم أشاهد إمرأة واحدة.

ولم تمض أيام كثيرة على إنتهاء زيارة الرئيس تيتو للقاهرة إلا وكان عبدالناصر قد أصدر قراراً بمنح المرأة حق الانتخاب.

وهكذا وكما كان لمصطفى أمين دوره في حصول المرأة على حق الانتخاب ثم ناضل لحصولها على حق الترشيح ودخول البرلمان كان له دوره في دخولها الوزارة.

عندما سألت مصطفى أمين أن يوضح تفاصيل هذا الدور الذى قام به حتى دخلت المرأة الوزارة.. قال:

ذات مرة كنت أجلس مع الرئيس جمال عبدالناصر فقلت له إننى أقترح تعيين وزيرة، فتكون أول تجربة على مستوى العالم العربى، وناقشنى عبدالناصر فى الفكرة مقتنعاً بها.. وفجأة قفز عبدالحكيم عامر من فوق مقعده وهو يقول: «علىّ الطلاق بالثلاثة».. لو دخلت الوزارة إمرأة فسأستقيل. ومرة فترة طويلة من دون أن أجد أى صدى لاقتراحى، وفى عام ١٩٦٠ اتصل بى عبدالناصر تليفونياً وذكرنى بالاقتراح الذى قلته له عن تعيين أول وزيرة، وعن اعتراض عبدالحكيم عامر، وذكر لى أن هناك تعديلاً وزارياً وأن عبدالحكيم عامر سيخرج من الوزارة، ومن ثم فهو يفكر جدياً فى تعيين وزيرة، وطلب منى أن أبحث له فى أرشيف أخبار اليوم عن

أهم عشرة نساء فى مصر ليختار من بينهن أول وزيرة فى تاريخ مصر المعاصر.

واهتممت بهذا الموضوع، وبحثت فى الأرشيف وقدمت له قائمة تضم عشرة نساء أتذكر منهن أمينة السعيد، وكريمة السعيد، ومفيدة عبدالرحمن، وحكمت أبوزيد.. وكانت رقم عشرة فى القائمة.

وأمام كل اسم ملخص عن تاريخ صاحبته وصورتها ونشاطها.. ولم يحدثنى عبدالناصر بعد ذلك.. ولكننى فوجئت بعد فترة بتعديل الوزارة وبوجود حكمت أبوزيد كأول وزيرة فى الحكومة المصرية.. وعندما سألت عبدالناصر لماذا اختارها هى بالذات رغم أنها آخر اسم فى القائمة قال لأنها ليست جميلة.

لقد كان مصطفى أمين يؤمن بدور المرأة وقدرتها على خوض كافة الميادين ونجاحها فيها. وذات يوم سألته: كيف يرى دور المرأة المصرية على وجه الخصوص والمرأة العربية عامة ؟ قال:

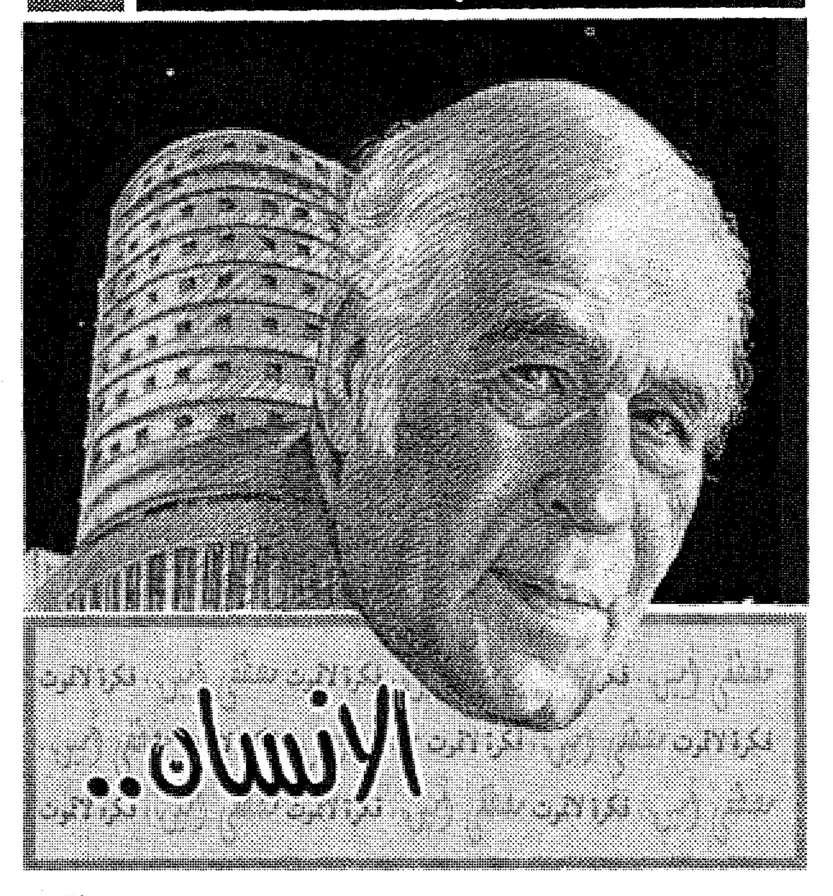
طالبت بأن تحصل المرأة على حق الانتخاب واستجيب لهذا المطلب، وطالبت أن تكون المرأة نائبة فى البرلمان واستجيب لهذا الطلب، كما طالبت أن تكون المرأة وزيرة فحدث ذلك، لكننى لاحظت أن النساء لا تقبل على الانتخابات، ويبدو أن المرأة كانت معتادة زمان على أن يقف لها الرجل عندما تصعد إلى الترام! وهى اليوم تريد أن يقف لها الوزراء وهى تجلس

معهم من دون أن تبذل جهداً، وهذا هو خطأ المرأة المصرية التى لم تستغل الحق الممنوح لها وتزاوله وتمارسه.. وفى رأيى انها لو فعلت ذلك لمنعت القوانين الصارمة التى تشكو منها..

وإذا كانت المرأة زمان اشتركت فى المظاهرات ونظمت الإضرابات وأعلنت عن احتجاجها دون أن يهمها رصاص الإنجليز فإن السلبية التى أصبحت تميز سلوك المرأة هذه الأيام هى فى حقيقتها ردة.. وأتصور أن سببها الحقيقى أن الثورة ألغت الاتحادات النسائية والمؤسسات التى كانت تدافع عن المرأة، بدليل أن المرأة فى دول إسلامية أصبحت رئيسة للوزارة، ونحن من ثلاثين عاماً لدينا وزيرة.. ثم أكثر من وزيرة ..

وعندما سألت مصطفى أمين: هل تصلح المرأة نقيباً للصحفيين.. قال: بل وتصلح أن تكون رئيساً للجمهورية.

٨ مصطفى أمين .. فكرة لا تموت



لأن مصطفى أمين نشأ فى بيت الأمة.. بيت جده سعد زغلول، فقد كان لهذه النشأة تأثير كبير فى تكوين شخصيته الإنسانية والصحفية والوطنية.. فإلى جانب كل المواقف الوطنية والمعارك الصحفية التى خاضها كان لمصطفى أمين جانب آخر فى حياته وهو الجانب الإنسانى.. فهو صاحب العديد من الأفكار الإنسانية التى تدعمت بجهوده عبر عشرات السنين..

ليلة القدر

كان العمل الإنسانى جزءاً لا يتجزأ من شخصية مصطفى أمين.. جزء كامن فى عقله ووجدانه.. يجد فيه ذاته.. وإذا كان المرض فى العامين الأخيرين من عمره قد هزه إلا أنه أبداً لم يقعده أو يعوقه عن مواصلة تقديم الخير لكل إنسان يلجأ إليه فى محنته أو حاجته أو مرضه.. وتعددت مشاريع الخير التى أقامها وعمت خيراتها.. وكان أولها مشروع ليلة القدر.

ولكن من أين جاءت وكيف بدأت فكرة مشروع ليلة القدر فى عقل ووجدان مصطفى أمين ؟

هذا السؤال وجهته له في أحد لقاءاتي معه.. فعلت الإبتسامة وجهه.. وصمت لحظة وكأنه ينبش في أعماق ذاكرته.. وقال: السبب الدراجة.. نعم الدراجة التي حلمت أنا وأخي على بامتلاكها في طفولتنا.. ولكن والدتي وقفت حائلاً دون تحقيق هذا الحلم فرفضت بشدة أن تشتري لنا دراجة لأنها كانت تخاف علينا من ركوب الدراجات.. وكان رفضها قاطعاً.. فقررت أنا وعلى تحقيق الحلم عن طريق توفير جانب من مصروفنا.. وبالفعل نجحنا ووفرنا الثمن واشترينا دراجتين بدلاً من دراجة واحدة.. لكننا لم نجرؤ على إظهارهما وركوبهما علانية أمام أمنا وكنا نخفيهما في مخزن البيت.

لقد تذكرنا هذه الواقعة أنا وأخي على ذات مساء ونحن جالسين في مكتبنا بأخبار اليوم.. وتذكرنا أن هناك آلافاً من الناس يحلمون ويمنون أنفسهم بامتلاك أشياء أهم كثيراً من الدراجة.. أشياء قد يكون لها تأثيرها الكبير على حياتهم.. وتساءلت أنا وعلى لماذا لا نحاول تحقيق بعض هذه الأماني والأحلام لكثير من الناس الذي تحول ظروفهم المادية دون تحقيقها، ومن هنا كانت البداية.. وكتب على أمين في عمود فكرة أن كل من يحلم وكل من لديه أمنية ويعجز عن تحقيقها أن يرسلها إلى أخبار اليوم.. وكان رد الفعل سريعاً، حيث وصلتنا حوال ٣٦٠ألف أمنية، وأخترنا ١٨محررة بأخبار اليوم لفتح هذه الخطابات وتم اختيار ٤٠أمنية منها وتم

تحقيقها، وقد كلفنا تحقيق هذه الأمانى أربعة آلاف جنيه .
وفى يوم ليلة القدر انتقلت المحررات إلى أصحاب الأمانى وسلمنهم ما طلبوه فى خطاباتهم.. وتم نشر هذه الأمانى التى تحققت مع صور أصحابها وهم يتلقون هدايا ليلة القدر وكان من بينهم حالات إنسانية كثيرة.. وفوجئنا بعد النشر بتبرعات كثيرة وصلت إلى أخبار اليوم وبلغت قيمتها حوالى ٤٠ ألف جنيه.. وهكذا انطلق مشروع هذا العمل الإنسانى الذى أطلق عليه ليلة القدر .
لقد بدأ هذا المشروع الإنسانى الكبير عام ١٩٥٧.. وبمرور الأيام والسنين أخذ ينمو ويكبر مشاركاً فى تحقيق أمانى الآلاف بفضل التبرعات الكثيرة التى قدمها أهل الخير من داخل مصر وخارجها.. وتوسعت فكرة ليلة القدر وترعرعت شجرة الخير وتفرعت إلى مشروعات خيرية أخرى هى أسبوع الشفاء، ولست وحدك، ونفسى، ويوم اليتيم، إضافة إلى مساعدة الطلبة العاجزين عن دفع مصروفات دراستهم، ومساعدة بعض المستشفيات لشراء الأجهزة الطبية التى تحتاجها لتقديم خدمات طبية أفضل للمرضى غير القادرين على دفع مصاريف العلاج.. وامتدت فروع شجرة الخير لتقيم داراً للأيتام بمدينة ٦أكتوبر .
هكذا حول مصطفى أمين وشقيقه على حلم طفولتهما إلى مشروع خيرى ضخم.. وبعد وفاة على أمين واصل مصطفى رعاية المشروع وحده بعد أن أرسى له قواعده من خلال

مجلس إدارة مع مجموعة من تلاميذه الذين دربهم وعمق فى وجدانهم ممارسة أعمال الخير حتى أن الكثيرين منهم لا يتقاضون أجراً لقاء جهدهم .

وينتقل المشروع من نجاح إلى نجاح وتتزايد أعداد من يشملهم برعايته من الفقراء والمحتاجين مسجلاً أروع معانى الإنسانية التى كانت تملأ صاحب القلب الكبير المسكون بالحب الكبير لكل الناس.. هذا الحب الذى جعل له مصطفى أمين عيداً .

عيد الحب

لقد دعا مصطفى أمين إلى «عيد الحب» وحدد له يوم ٤ نوفمبر من كل عام إيماناً منه بأن الحب يصنع المعجزت.. لقد كان يؤمن بأن الحب حبة بالحب تنمو.. وبغير الحب بين البشر لتحولت الحياة إلى صراعات ومعارك لاتنتهى.. ولاقت دعوته لعيد الحب استجابة فورية على مستوى الناس جميعاً بكل فئاتهم وطوائفهم.. الجميع فى هذا اليوم يتسابقون على تبادل التهانى فى حب ومودة.. فاليوم عيد الحب.

عندما سألت مصطفى أمين عن دوافع دعوته لعيد الحب قال: كان هناك مشهد قد يمز مر الكرام ودون أن يلتفت إليه أحد ولكنى تأثرت به جداً.. ففى يوم من الأيام كنت أسير فى أحد شوارع وسط القاهرة، وشاهدت نعش متوفى يسير وراء

جنازته شخص واحد فقط !! ولم يهتم أحد من المارة بالمشاركة في تشييع جثمان هذا المتوفى.. تعجبت وتساءلت مع نفسي أإلى هذا الحد يصل جحود الناس وانصرافهم عن أداء واجب إنساني.. أإلى هذا الحد أهمل الناس تبادل المشاعر الإنسانية؟.. أإلى هذا الحد افتقد الناس تبادل الحب فيما بينهم.. ومن هنا كانت دعوتي لعيد الحب .

عيد الأم.. وعيد الأب

يبدو أن مصطفى أمين أراد أن يجعل أيام الناس كلها أعياداً بكل ما تحمله كلمة العيد من معاني إنسانية كبيرة وما تعنيه من دلالات الوفاء .

كان مصطفى أمين يعيش نبض الناس.. يغوص في مشاكلهم ويستشعر أحاسيسهم ويتألم بآلامهم .

وإذا كان مشهد النعش الذي شيعه رجل واحد دافعاً له للدعوة إلى عيد الحب.. فقد كانت شكوى أم من جحود ابنها وراء تكريس دعوته لتكريم الأم في عيد خاص بها حدد له هو وشقيقه على يوم ٢١ مارس من كل عام .

لقد زارته في مكتبه بأخبار اليوم سيدة وحكت له إن زوجها توفي وكان عمر ابنها الوحيد لا يزيد عن سبع سنوات.. كرست حياتها لتربيته ورعايته.. نسيت نفسها ولم تفكر في الزواج مرة أخرى وكانت مازالت في ريعان شبابها.. صرفت

عليه كل ما تملك فى مختلف مراحل التعليم حتى تخرج طبيباً وفتحت له عيادة خاصة وزوجته بعد أن استأجرت له شقة.. وبعد كل هذا انشغل بحياته الخاصة بعيداً عنها.. هجرها وتركها وحيدة ولم تعد تراه حتى تروى عطش أمومتها..

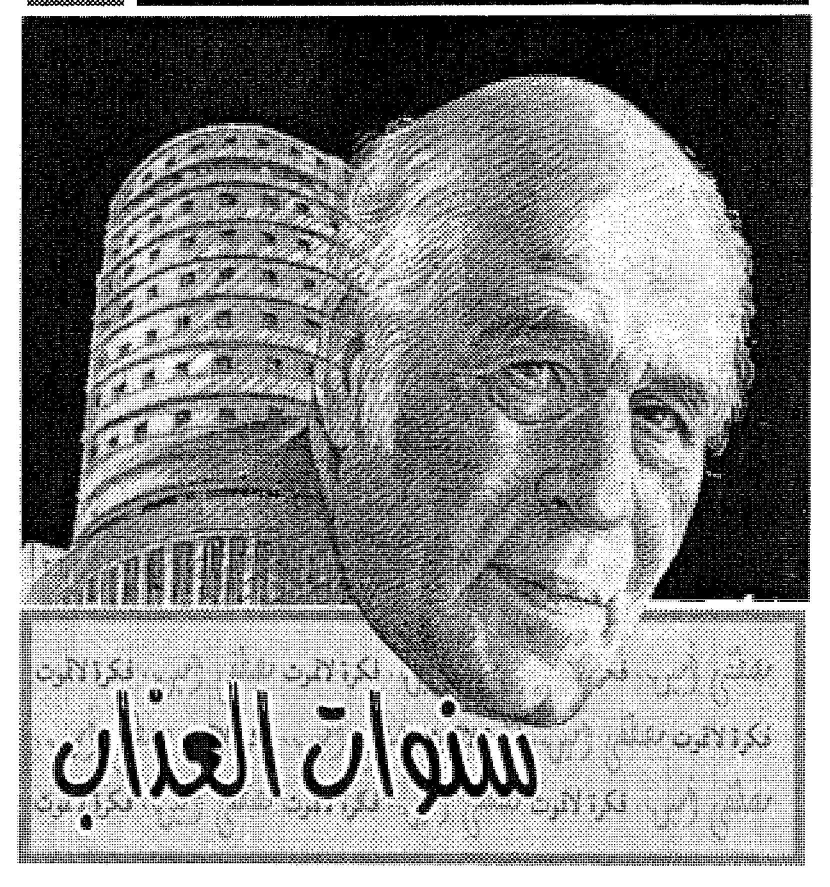
كان مصطفى أمين قد دعا فى مجلة «الأثنين» بعيد للأم فى مصر اعترافاً بجميلها.. ولكن الدعوة لم تلق الصدى الكامل . وعندما أنشأ أخبار اليوم.. وبعد أن زارته هذه السيدة التى شكت له معاناتها من جحود ابنها، عاد وجدد الدعوة وكرس لها هو وشقيقه على قلميهما، ونجحت الفكرة ليصبح يوم ٢١ مارس من أهم أعياد مصر والعالم العربى.

ولما غضب الرجال حددا يوم ١٢ مارس عيداً للأب .

وعندما سألت مصطفى أمين لماذا سبقت فكرة إقامة عيد للأم قبل الأب ؟

قال أننا أردنا رد الاعتبار للأم التى كرمها الإسلام خاصة وأنه فى بعض مدننا وقرانا يعتبر اسم الأم عورة.. ويسبون الرجل بأمه.. أردنا أن نكرم الأم ونحفظ لها مكانتها وتقديرها عند أبنائها.. هؤلاء الأبناء الذين أنجبتهم لا يحملون اسمها ولو ليوم واحد بينما يحملون اسم آبائهم طوال حياتهم.. ولهذا كانت دعوتنا لعيد الأم قبل عيد الأب الذى لا يمكن أن نغفل دوره .

هكذا كان مصطفى أمين يقدس دور أمه ويردد عبارته الشهيرة أنه من أجلها أحب كل أمهات العالم .



سنوات العذاب

تسع سنوات كاملة أمضاها الأستاذ مصطفى أمين فى السجن من بداية عام ١٩٦٥ وحتى عام ١٩٧٤ عندما أفرج عنه الرئيس الراحل أنور السادات، وعلى الرغم أنها لم تكن المرة الأولى التى يقبض فيها على مصطفى أمين ويسجن، لكن هذه المرة بالذات كانت أكثرها قسوة ومرارة، وكانت تمثل له سنوات من العذاب.

وقد تحدث الأستاذ مصطفى أمين كثيراً عن هذه المرحلة الخاصة من حياته فى العديد من الأحاديث الصحفية والتليفزيونية بل إنه أفراد لها خمس كتب كاملة سماها جميعاً بأرقام سنوات السجن - من السنة الأولى إلى الخامسة، وكان يعتزم أن يكمل ذكريات هذه السنوات الحزينة بأربعة كتب أخرى حتى تكتمل ذكريات سنوات السجن جميعاً. هكذا قال لى عندما سألته عن الكتاب الذى يتمنى أن يؤلفه، فقال: ٤كتب من سنة سادسة إلى تاسعة سجن.. والحقيقة التى قد لا يعرفها الكثيرون أن مصطفى أمين قد تردد على السجن مرات عديدة. .

عام ١٩٢٨ قبض عليه أثناء اشتراكه فى مظاهرة ضد الدكتاتورية وسقوط محمد محمود باشا.

ومرة أخرى قبض عليه بتهمة تنظيم اضرابات فى المدارس الثانوية ومن بينها الخديوية احتجاجاً على إلغاء دستور ١٩٢٣ وهذه المرة صدر قرار بفصله من جميع المدارس الحكومية وحرمانه من الإمتحانات.

وفى عام ١٩٤٠ حكم على مصطفى أمين بالسجن ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ لتطاوله على ولى عهد المملكة الأمير محمد على وألقى القبض عليه أيضاً عام ١٩٥٢ وبالتحديد فى ٢٤يوليو وظل محبوساً ثلاثة أيام إلى أن أصدر مجلس قيادة الثورة بياناً يبرئه من التهم التى نسبت إليه.

ويذكر الكاتب الكبير أنه كان قد قبض عليه فى عهد مصطفى النحاس عام ١٩٥١ ستة وعشرين مرة.

***

كنت أشعر بحرج شديد وأنا أسأله عن سنوات السجن رغم أن غيرى كثيرين سألوه وأجاب بلا غضاضة أو ضيق، لكنى كنت أشعر أن هموم هذه السنوات ثقيلة وذكرياتها لا شك أنها تجتر على الرجل مواقف صعبة عاشها.. وقد خضت التجربة فرحت أسأله عن جوانب إنسانية حول سنوات العذاب التسع، واعترف أنه كان يجيب بكل بساطة ويسترسل دون ضيق.. فالذين يعرفونه عن قرب يدركون قدرته على كبح مشاعره وأحاسيسه.

وحول أهم الدروس التى تعلمها من هذه التجربة.. رد بعد فترة تأمل.. والله دروس كثيرة.. أهمها أننى وثقت فى كثير

من الناس الذين كانوا لا يستحقون الثقة، كما أن هناك أشخاصاً وقفوا معى بشجاعة وأصالة لم أكن أتوقعها، لقد وجدت فى قاع المدينة أخلاقاً أكثر مما وجدت فى قمتها، واكتشفت أن السجن يضم أناساً فى منتهى الوفاء والشجاعة، وكذلك الشرف والقوة. .

والحقيقة أنه رغم سنوات السجن الطويلة لكنى والحمد لله لم أشعر بالمرارة تجاه الذين وضعونى فى السجن ونكلوا بى وعذبونى، وأذكر أننى طلبت من الرئيس السادات بعد الإفراج عنى أن يصدر عفواً عن جميع المسجونين السياسيين ومن بينهم صلاح نصر الذى أدانته المحكمة عام ١٩٧٥ بالسجن عشر سنوات بتهمة تعذيبى واجبارى بالقوة على الإعتراف بجريمة لم ارتكبه

وقد غضب الرئيس السادات بشدة عندما طلبت الإفراج عن صلاح نصر وقال إنه يستحق السجن خمسين عاماً.

ويتذكر مصطفى أمين أيامه الأولى فى السجن فيقول لقد كانت أياماً صعبة.. صعبة للغاية، ولك أن تتصور أننى الذى ارتدت أفخر الفنادق فى العالم.. أقمت فى أجنحة فاخرة فى فنادق سوفرتيا فى سان موريتس وسافوى فى لندن وهيلتون لوس انجلوس وجورج سانك فى باريس وغيرها. أجد نفسى أنام فى زنزانة بالسجن الحربى وما أدراك ما السجن الحربى، وما كان يفعله الطاغية حمزة البسيونى.. شهرين ونصف قضيتها فى هذا السجن الرهيب دون أن يعلم

أهلى عنى شيئاً، ذقت خلالها أقسى أنواع العذاب والهوان والذل.. كانوا يطلقون علىّ كلاب متوحشة تمزق ملابسى وتنهش لحمى.. أما وسائل التعذيب الأخرى فيقول مصطفى أمين إننى أشفق عليك وعلى قرائك من ذكر تفاصيلها.. لقد منعوا عنى الأكل فاحتملت الجوع، لكن العطش كان مؤلماً جداً فى عز حرارة الجو، فكنت اضطر لشرب ماء بولى، فقد كان الحر فى شهر يوليو قائظاً ومرضى السكر يحتاجون لكميات مياه مضاعفة.. لقد تنقلت عدة مرات بين سجن القبة والسجن الحربى وسجن القناطر وسجن الإستئناف وليمان طرة، فكنت أقاوم الجوع والعطش وعدم التدخين، ثم الضرب المبرح ولحظات الرعب القاسية عندما يستقدمون كلابهم المدربة على تمزيق الملابس ولحوم البشر.. لكن أكثر ما كان يصيبنى بالضجر وتنهار مقاومتى أمامه عندما كان يسب أحد الزبانية أمى وقد كنت أحبها حباً كبيراً.. أما الأمر الآخر الذى كان يؤلمنى بشدة هى التعليمات التى صادفتنى فى كل السجون التى تنقلت بينها.. القلم ممنوع.. الورق ممنوع.. الحبر ممنوع.. بل وصل بهم الأمر إلى منع ورق التواليت خشية أن أستخدمه فى الكتابة ،وفرضوا علىّ أن توضع الأقلام والأوراق لكتابة الخطابات لأهلى فى مكتب ضابط العنبر.

ويتذكر الأستاذ مصطفى أمين تفاصيل هذه الظروف الصعبة فيقول:

عندما منعنى وزير الداخلية من الكتابة داخل السجن

وأرسل خطاباً لمدير السجن يقول فيه بأنه غير مسموح للمسجون مصطفى أمين بالكتابة إلا كتابة الخطابات لأهله ومرتين فقط فى الشهر على ورقة نصف فولسكاب.. شعرت بالانزعاج الشديد.. فالكتابة بالنسبة لى مثل الهواء.. ومعنى ذلك أننى لن أتنفس إلا مرتين إثنتين فى الشهر. وفكرت فى تكوين عصابة داخل السجن تكون مهمتها تهريب الخطابات.. واخترت عشرة من المظلومين وكان واحد منهم لا يقرأ ولا يكتب فاخترت أن أضع عنده الورق والقلم لأنهم يعرفون أنه يجهل القراءة والكتابة ومن ثم فإنهم لن يفكروا فى تفتيش زنزانته وهم يبحثون عن الأوراق والأقلام.. وعندما كان باب السجن يغلق فى المساء كان هذا المسجون الأمى يمد يده بالورق والقلم إلى شباك الزنزانة المجاورة ويسلمها لجاره.. وهكذا حتى تصل إلىّ وكان هناك اثنان من المساجين ضمن هذا التشكيل العصابى مهمتهما مراقبة الحراس: واحد فى الدور الأول، والآخر فى الدور الثانى. وكانت كلمة السر هى أحمد عبدالرحمن، وهو اسم مدير المباحث فى ذلك الوقت، فإذا سمعت كلمة السر عرفت أن الضباط فى طريقهم إلى زنزانتى للتفتيش، فكنت أعيد الأوراق والقلم بالطريقة نفسها التى وصلت بها.. ولم يحدث ولا مرة واحدة أن أفشى واحد من هؤلاء السر رغم أن الثمن كان يمكن أن يكون الإفراج عنه.

إن الكتابة فى السجن مجازفة كبيرة، وعقوبتها قاسية حيث

يضعـونه فى التأديب وهى زنزانة ضيـقة لا يوجد بهـا نافذة ولا تفتح سـوى خمس دقائق فى اليـوم لقضاء الحـاجة وفى هذه الزنزانة ينام السـجين عـلى الأرض ويمنع من التدخـين وكذلك من الأكل الملكى، ومع كل ذلك فقـد كنت أغامر وأكتب فـالكتابة كـانت مـتعـتى الوحـيدة التى تـخفف عنى عـذابات السجن وقسوته.

***

ويواصل الأستـاذ مصطفى أمين حديثـه عن سنوات العذاب فيـتذكـر أمه فى هذه الظروف الصـعبـة التى يمر بهـا خلف القضبان ويقول: فكأنها كانت تقرأ الغيب وهى ترفض أى دلع فى الأكل، ولم تكن تـقبـل أبداً أن نرفض صنفـاً من الطعـام، علمـتنا أن نحب الـفـول المدمس والعـدس والجـبنة القـريش ونفـضلها علـى الديك الرومى.. وقد أفـادنى ذلك كـثيـراً فى سنوات العـذاب.. لقد دربتنا أمنا على شظـف العيش وقـسوة الظروف، فقد ضمنى الفراش الوثير كما نمت فى السجن على الأسفلت واحـتملت، اختلطت بالحكام والنبـلاء والنجوم، وفى السـجن اخـتلطت باللـصوص وقـطاع الطرق والقـوادين ولم أضجر أو استسلم للاكتئاب.

ويقول مصطفى أمـين: لقد كنت مسجوناً مثـالياً فلا أخالف التعليمات رغم أن تعليـمات السجن سخيفة ومتنـاقضة وغير إنسـانيـة، إن الأوامر كـانت تمنع كـل شىء وعلى الرغم من قسـوة بعض السـجانين لكنى كنت أشـفق عليـهم، فقـد كان

الواحد منهم يقبض عشرة جنيهات فى الشهر، ولديه أسرة كبيرة كما أن معظمهم لم يتلق أى قدر من التعليم، وكثيراً ما كانت إدارة السجن ترفض دخول الطعام الخاص الذى تحضره ابنتاى رتيبة وصفية وكذلك أغذية السكر أو زجاجة كلونيا أو صابونة بحجة أنها مستوردة، مع أن الواقع غير ذلك، ولم أكن اعترض وكنت أمنع بناتى من تقديم الشكوى لأن الشكوى لغير الله مذلة.

فلقد نقل مدير الليمان لأنه سمح بدخول طعام صحى لى أوصى به كبير أطباء المستشفى، وقد عودت نفسى أن أرضى بالهوان الذى أعيش فيه فى السجن..

***

وفى السجن سمع مصطفى أمين الكثير عن أسرار هزيمة ٦٧ حيث تحدث الفريق صدقى محمود قائد القوات الجوية إبان النكسة، تحدث بصوت عال بعد أن التقاه فى مستشفى السجن، وكذلك عندما تحول شمس بدران من حاكم بأمره إلى سجين، وكذلك صلاح نصر الذى هدد بفضح النظام وافشاء أسراره بعد أن ضم الجميع سجن ليمان طره ومعهم معظم قادة القوات المسلحة وأصدقاء المشير عبدالحكيم عامر.

***

• عندما سألت مصطفى أمين عن أفضل هدية تلقاها وهو فى السجن ..؟

قال:يوم أخبرنى طبيب السجن أن أم كلثوم ستغنى أغنية

تهمني.. وكانت أغنية الأطلال.

• كم ليلة قضيتها في السجن ؟

– لا أستطيع أن قول لك.. لأن ساعة ظلم واحدة طولها ألف سنة.. وأنا سجنت ثماني سنوات ونصف السنة وهي بالنسبة لي تساوي قروناً.

• من كان أكثر زوارك وأنت في السجن ؟

– سعيد فريحة والأمير طلال وفائق السمرائي.

• صداقة اكتسبتها من السجن ؟

– صداقتي مع زوجتي.

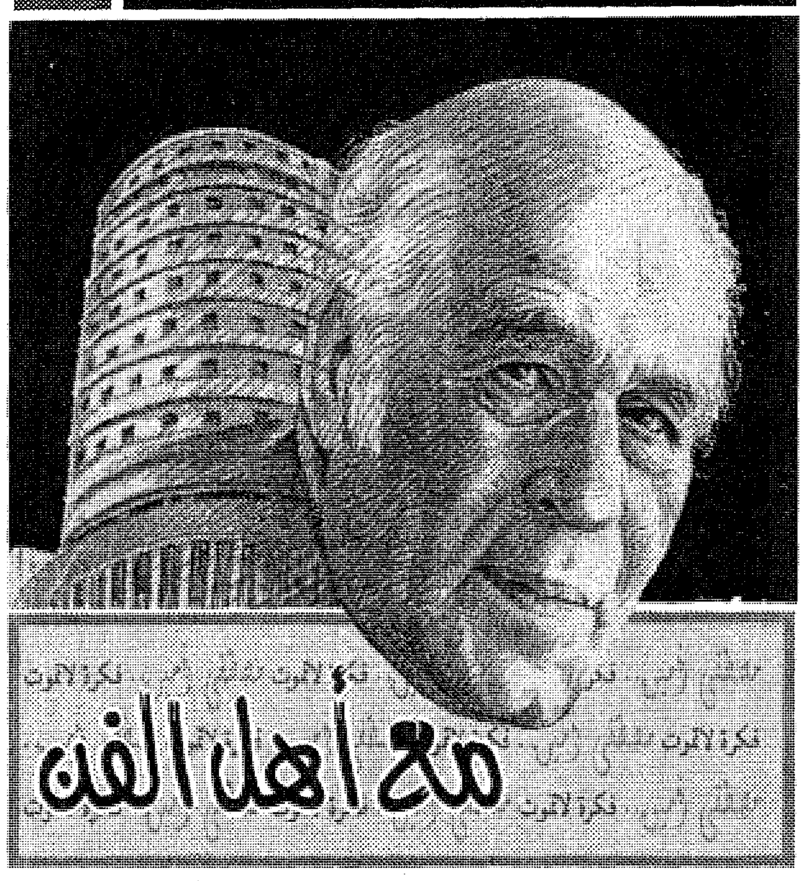
• رغم الوعود الكثيرة التي أعطاها الرئيس السادات للكثيرين بالإفراج عنك وكذلك عبد الناصر.. لماذا تأخر الإفراج عنك ؟

– لأنه كان هناك من يقاوم الإفراج عني.

• مشاعرك يوم الإفراج عنك ؟

– كانت هناك وعود كثيرة بالإفراج عني وتقرر الإفراج عدة مرات ولكنه لم يتم.. فلما أفرج عني بالفعل أخذت سيارتي وذهبت في زيارة قبر أمي ووضعت عليه زهرة.

١٠ مصطفى أمين .. فكرة لاتموت



شائعات كثيرة ربطت بين مصطفى أمين وأهل الفن.. ومن هذه الشائعات شائعة زواجه من الفنانة شادية التى نفاها مصطفى أمين كثيراً، وقال إنه أحبها كصديقة ولم يتزوجها.. وشائعة حبه لليلى فوزى وتحية كاريوكا.. ومديحة يسرى التى اتهمه العقاد شخصياً بأنه على علاقة بها.

وعلى ما يبدو فإن علاقة الكاتب الكبير بأهل الفن كانت على عكس كل هذه الشائعات، فقد كان مصطفى أمين صحفياً مرموقاً وكان من الطبيعى أن تكون هناك علاقات مستمرة بينه وبين الكثير من النجوم والفنانين.. ثم إنه ارتبط بكثيرين منهم ارتباطاً عضوياً من خلال صداقات استمرت لسنوات طويلة.

من هنا كان ارتباط مصطفى أمين بأهرامات مصر الفنية الثلاثة.. **أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم..** وأذكر أننى سألته يوماً إذا ما ذهب فى رحلة طويلة تستمر شهوراً وأتيح له أن يصطحب معه ثلاثة أشخاص فقط، فقال بلا تردد: أم كلثوم وعبد الوهاب وعبدالحليم.. كان هذا فى الماضى، أما الآن فلا أجد هؤلاء جميعاً حولى..

***

وأطلب من الأستاذ مصطفى أمين أن يروى لى قصة تعرفه

على أم كلثوم فيقول:

عرفتها بالصدفة.. بل عرفتها مرغماً.. فقد حدث يوماً - وكان ذلك في عام ١٩٢٥ - أن زار على مبارك منزل سعد زغلول.. وطلب سعد من والدى أن يرتب للضيف «فسحة» احتفاء به.. واقترح أبي الذهاب لسماع أم كلثوم وهي تغنى في حديقة الأزبكية واقترحت أنا الذهاب لمشاهدة إحدى مسرحيات على الكسار.. وأصر أبي على رأيه فذهبنا لسماع أم كلثوم وكانت المرة الأولى التي أراها فيها وجهاً لوجه.. وأدهشني يومها أن أرى الشاعر الكبير أحمد رامي يتعامل معها وكأنها ملكة متوجة.

ولم أر أم كلثوم إلا بعد سبع سنوات.. أيامها كنت أعمل نائباً لرئيس تحرير روز اليوسف وكلفت بعمل حديث معها فاتصلت بها وحددنا موعداً.. وذهبت إلى عمارة «بهلر» بالزمالك حيث تقيم.. ولاحظت في عينيها الدهشة لأنها تصورت من صوتي في التليفون أنني أكبر سناً من الصحفي الذي يجلس أمامها.. وسألتني عن الأسئلة فقلت لها.. ما رأيك في الحب؟ وإذا بها تقف غاضبة وتقول لي إنتهت المقابلة.. فقلت لها إن إنهاء هذه المقابلة دون الحصول على الحديث الصحفي يعني إنهاء مستقبلي.. فعادت وجلست وهي تقول إسأل لكن لا تحاول أن تسألني مثل هذه الأسئلة.

وفعلت وأثناء الحوار معها دق جرس التليفون وشعرت من صوتها المنخفض أنها تتحدث إلى رجل.. رجل تحبه.. وقلت

لهـا ذلك فقـالت بصوت مـرتعش هل ستكتب هـذا، أرجوك لا داعى لمثل هذا الكلام.. ووعدتها أننى لن أنشر حرفاً من الذى سمعته.. وبعدها أصبحنا أصدقاء.

ويستطرد الأستاذ مصطفى أمـين فى حديثـه عن أم كلثوم فيقول:

استـمرت صـداقتى بأم كلثـوم حتى وفاتهـا.. كانت سـيدة مدهشـة استطاعت أن تعلم نفـسها وتصـبح سيـدة مثقـفة.. وكانت دائمـاً تشـجعنـى على إصدار جريدة مـصرية كبـيرة، وعندما أصـدرت أخبار اليوم، كـانت أول من زار مطبعتـها.. ورداً على لفتتها الكريمة ذهبت إليها فى منزلها وأعطيتها أول نسخة تخرج من المطبعة.

ولا أستطيع أن أنسى موقـفها من أخبار اليـوم حين غضب عليها وزير مالية سابق بسبب هجـومها عليه فأصدر تعليماته للبنوك بإيقـاف أى قـروض للجـريدة، وكـان مـعنى ذلك أن تتوقف أخبار اليوم عن الصدور.

كان مـوقفاً فى غـاية الصعـوبة.. لكننى فوجئـت بأم كلثوم تحضر إلى مكتبى وتسألنى عن المبلغ الذى أحـتاجه فقلت لها لا أريد أكثر من ١٧ ألف جنيه، فكتـبت لى شيكاً بالمبلغ وقمت بإعطائها إيـصالاً وأنا أشكرها، لكنها قـامت بتمـزيق الإيصال أمامى!

وأضاف مصطفى أمين:

أم كلثوم هـى التى عـرفتنى بجمـال عبدالناصـر!.. كان ذلك

أيام حصار الفالوجا.. أيامها طلبنى الفريق حيدر باشا وقال لى أنه تلقى رسالة من ضباطنا وجنودنا المحاصرين يطلبون فيها من أم كلثوم أن تغنى فى حفلتها القادمة أغنية «غلبت أصالح فى روحى».. وقال حيدر باشا إنه يعتمد علىّ فى توصيل هذه الرسالة للسيدة أم كلثوم لأنه لا يعرفها.. وسارعت بالاتصال بأم كلثوم وأبلغتها رسالة حيدر باشا فقالت لى لا أستطيع أن أرفض طلباً لجنودنا المحاصرين.

وأقيم الحفل فى موعده، وغنت أم كلثوم الأغنية التى طلبها الضباط والجنود فى أولى وصلاتها.. وعندما عاد أبطالنا من الحصار طلبوا من حيدر باشا مقابلة أم كلثوم لكى يقدموا لها الشكر بأنفسهم على أنها لبت طلبهم.. ومرة أخرى اتصل بى حيدر باشا.. فاتصلت بأم كلثوم فقالت إنها لا تقيم حفلات فى بيتها لأحد.. لكنها ستكسر هذه القاعدة وتقيم لأبطالنا حفلاً فى منزلها.. ودعتنى لحضور الحفل فكنت المدنى الوحيد وسط باقى المدعويين من العسكريين.

وفى الحفل وقعت عيناى لأول مرة على جمال عبدالناصر وعرفته بنفسى، فقال إنه يتابع ما أكتبه باستمرار وسألته لماذا طلبتم من أم كلثوم سماع هذه الأغنية بالتحديد، فقال إن واحداً من الضباط أبدى رغبته فى أن تغنى أم كلثوم هذه الأغنية فرد عليه ضابط آخر بأنه ليس من المعقول أن تهتم أم كلثوم بطلباتنا وتتجاهل طلبات الوزراء لكن عبدالناصر قال لهم أنا متأكد ان أم كلثوم ستستجيب لطلبنا لو عرفت فهى

فلاحة مصرية.. وهكذا أرسلنا من الفالوجا رسالة لحيدر باشا نطلب فيها من أم كلثوم سماع هذه الأغنية.

ويستكمل مصطفى أمين حديثه عن الواقعة فيقول إنه من الغريب أن مجلس الثورة بعد ذلك أصدر قراراً بعدم إذاعة أغانى أم كلثوم.. واتصلت بى أم كلثوم لتخبرنى بذلك فذهبت فوراً للقاء عبد الناصر ورويت له ما حدث فقال غاضباً إن هذا الكلام من قبيل التشنيع على الثورة فقلت له تأكد بنفسك..

واستدعى عبدالناصر أحد الضباط وسأله عن صحة هذا الكلام، فقال له الضابط أن هناك قراراً صدر بالفعل باعتبار أم كلثوم رمز من رموز العهد البائد.. فانفجر عبدالناصر غاضباً وهو يقول لا تنسوا أن تهدموا الهرم وتردموا النيل فهما أيضاً من رموز العهد البائد.. وطلب من الضابط إلغاء القرار فوراً.. فقلت لعبدالناصر أظنك الآن تدرك أننى لا أشنع على الثورة، فقال ضاحكاً يبدو أننا نحن الذين نشنع عليها!

واتصلت بأم كلثوم وقلت لها افتحى الراديو فهناك أغنية لك تذاع الآن!

وأضاف مصطفى أمين قائلاً:

أم كلثوم وقفت بجانبى فى محنتى.. فعندما دخلت السجن حاولت كثيراً أن تتوسط لى عند عبدالناصر لكنه رفض.. وعندما سدوا علىّ جميع الأبواب لكى لا يصلنى قرش واحد من أخى على أمين الذى كان موجوداً فى لندن طلبت منها أن

ترسل لى ٢٠٠ جنيه فأرسلت ٥٠٠ جنيه وقالت إنها مستعدة أن تعطينى خمسة آلاف جنيه لو طلبت.. ولم تقتصر وقفة أم كلثوم بجانبى على ما قدمته من المال بل أنها ظلت تدافع عنى أثناء سجنى، وأذكر أنها أثناء عشاء ضمها بالرئيس عبدالناصر وعبدالحكيم عامر وعبدالوهاب فى نادى الضباط - كان ذلك عام ١٩٦٥ فى الاحتفال بذكرى ٢٣ يوليو، ولم يكن قد مضى على القبض عليّ يومان فقط، وسأل عبدالناصر أم كلثوم عن رأيها فى الإتهام الموجه لى، فراحت أم كلثوم تدافع عنى بشدة وتشيد بوطنيتى مما دعا عبدالناصر أن يتجاهل حديثها ويوجه نفس السؤال.. لعبدالوهاب..

سأله الرئيس هل أنت حزين لأننا قبضنا على مصطفى أمين؟

فأجاب عبدالوهاب.. أبداً يا أفندم.. اللى يغلط لازم يأخذ جزاءه !

لم تتوقف أم كلثوم عن بذل المحاولات، وفى كل اتجاه للإفراج عنى، ولا أنسى يوم صحبت ابنتّى رتيبة وصفية إلى منزل الرئيس السادات حيث قابلن السيدة جيهان السادات التى جمعتهن بالرئيس السادات الذى وعدهن بالإفراج عنى بعد إنتهاء المعركة، ولم أكن أصدق يومها أن مصر ستحارب، وعندما دخلنا الحرب وانتصرنا أوفى السادات بوعده وأفرج عنّى فذهبت لأ كلثوم لأشكرها وأرد لها الخمسمائة جنيه

فرفضت غاضبة.

سألت مصطفى أمين: هل صحيح أن أم كلثوم كانت بخيلة ؟، صمت قليلاً ثم قال: أنا سألت أم كلثوم هذا السؤال.. نقلت إليها ما يقوله الناس عنها.. فضحكت وقالت:

(بصراحة أنا بتعمد أن تكون صورتى كدة لأن من مصلحتى أن كثيراً من الناس يعرفوا أنى بخيلة حتى يبتعد عنى النصابون، فمن سيحاول النصب على إنسانة بخيلة وبذلك أكون قد بنيت سداً بينى وبين الأفاقين والطماعين).

ويضيف قائلاً :

الحقيقة أن أم كلثوم كان لها الكثير من المواقف الإنسانية فكثيراً ما ساعدت فنانين عند مرضهم وأدخلتهم المستشفيات على حسابها، وقدمت لهم الأموال فى سخاء، لكنها كانت دائماً تشدد على ألا يعرف أحد هذه التفاصيل.

***

وأعود فأطلب من الأستاذ مصطفى أمين أن يحدثنى عن معرفته بالفنان عبد الوهاب فيقول:

عرفت عبدالوهاب من زمن بعيد فقد كان أستاذ الموسيقى فى مدرستى الثانوية.. وعندما أعلن يوماً عن فتح الباب لدخول فريق الغناء ذهبت وتقدمت.. واستمع لى عبدالوهاب ومنعنى من الاقتراب مرة أخرى من فريق الغناء!

ثم عرفته بعد ذلك وأنا محرر بروز اليوسف وأجريت معه أحاديث صحفية.. وانتهزت فرصة معرفتى به وصداقتى بأم

كلثوم وحاولت أن أجمع بينهما.. وأخيراً فى أوائل الأربعينات وافق الاثنان أن يشتركا فى فيلم ألمظ وعبده الحامولى.. ودعوت أم كلثوم وعبدالوهاب فى منزلى واتفق الإثنان لكنهما اختلفا على الملحنين.. وظلا مختلفين حتى قامت الثورة وطلب منهما الرئيس عبدالناصر أن يشتركا فى عمل فنى واحد فكان لقاء السحاب.. أغنية إنت عمرى!

ويتحدث مصطفى أمين عن علاقة التقدير والحب التى كانت تجمع بينه وبين عبدالوهاب فيقول:

إننى كنت شديد الإعجاب به وبأناقته وبموسيقاه.. كان يتحدث وكأنه فيلسوف، ويلحن وكأنه بيتهوفن.. يعشق عمله ويتفانى فيه.. لا توجد له أغنية واحدة لا أحبها.. وأعتبره مطرب العام وكل عام .

لقد كان عبدالوهاب دقيقاً، للغاية فى عمله، وأذكر أنه أخذنى معه مرة للأستوديو حيث كان يؤدى مجنون ليلى وظل حتى الثالثة صباحاً يحاول اختيار حرف (س) من بين عدة محاولات قام بها ليأخذ أفضلها فى المونتاج.. كانت وسوسة عبدالوهاب الفنية واحدة من مزاياه.

***

وينتقل الحوار مع الأستاذ مصطفى أمين عن أهل الفن إلى محطته الأخيرة.. إلى الهرم الثالث.. عبدالحليم حافظ.

كان مصطفى أمين يحب عبدالحليم كثيراً، وكانت العلاقة

التى تربط بين الاثنين هى نفس العلاقة التى تربط الأب بابنه.. والابن بأبيه.. وكثيراً ما كان يحدث أن يذهب عبدالحليم إلى مكتب مصطفى أمين بأخبار اليوم يشكو له همومه وأوجاعه التى كان يواجهها.. سواء فى عمله أو فى حياته الخاصة.. وفى كل مرة كان مصطفى أمين لا يبخل عليه بالنصيحة الخالصة.. ومن جانبه كان عبدالحليم الذى يثق كثيراً فى مصطفى أمين ينفذ نصيحته بالحرف الواحد.. بل أنه فى كثير من الأحيان لم يكن يقدم على أى عمل فنى جديد.. سواء أغنية أو فيلم دون استشارة مصطفى أمين الذى كان فى الواقع بئر أسرار عبدالحليم حافظ.

سألت الكاتب الكبير مصطفى أمين عن طبيعة العلاقة التى كانت تجمع بينه وبين عبدالحليم حافظ، فقال:

أول مرة أرى فيها عبدالحليم حافظ كانت بعد أن غنى فى الإسكندرية فقذفه الجمهور بالطماطم والحجارة.. أيامها شعرت أنه مطرب موهوب فساندته ووقفت إلى جانبه.. لكن يبدو أن إحساسه بالفشل واليأس كان أكبر من أى محاولة للتخفيف عنه.. فجاء إلى مكتبى وأخبرنى أنه ينوى الانتحار.. فلما سألته عن السبب قال لأنه يشعر بالظلم.. يشعر أن الناس تهاجمه ظلماً.. قلت له أن يهاجموك ظلماً ألف مرة أحسن من أن يتجاهلوك تماماً.. لا تنتحر مادام الناس يتكلمون عنك.. فكر فى الانتحار فقط إذا نسيك الناس وتجاهلوك !

ويستطرد الكاتب الكبير مصطفى أمين في حديثه عن عبدالحليم حافظ فيقول:

الناس تتصور أنني كنت أكتب لعبدالحليم أغانيه لكن الحقيقة لم أكتب له أغنية واحدة، وإنما كتبت له أفكار بعض الأغاني فيحولها الشعراء إلى أغنية.. ومنها أغنية السد العالي.. وهذا ما كان يحدث أحياناً مع أم كلثوم التي كتبت لها فكرة أغنية مصر التي في خاطري ومع عبدالوهاب الذي كتبت له فكرة أغنية الوطن العربي.

ويتطرق الأستاذ مصطفى أمين إلى منعطف جديد وهو يتحدث عن عبدالحليم حافظ فيقول:

وقف عبدالحليم إلى جانبي في محنتي كما لو كان شقيقي.. وبذل جهوداً كبيرة لكي يبرئني من التهمة التي نسبت إليّ.. وتقدم للجهات المسئولة يؤكد لها أنه في الوقت الذي قالوا فيه أنهم ضبطوا معي ما يدينني.. كنت معه ومع شادية في الإسكندرية.. لكن جهات عليا حالت دون أن يدلي عبدالحليم حافظ بشهادته.. بل أن هذه الجهات ضغطت عليه وهددته، وطلبت منه الابتعاد نهائياً عن هذا الموضوع.

وعندما دخلت السجن لم ينقطع عبدالحليم عن زيارتي.. وكان هو وأم كلثوم وايزيس طنطاوي ابنة عمتي الثلاثة المسموح لهم بزيارتي بشكل دائم وبدون قيود.

ويضيف مصطفى أمين:

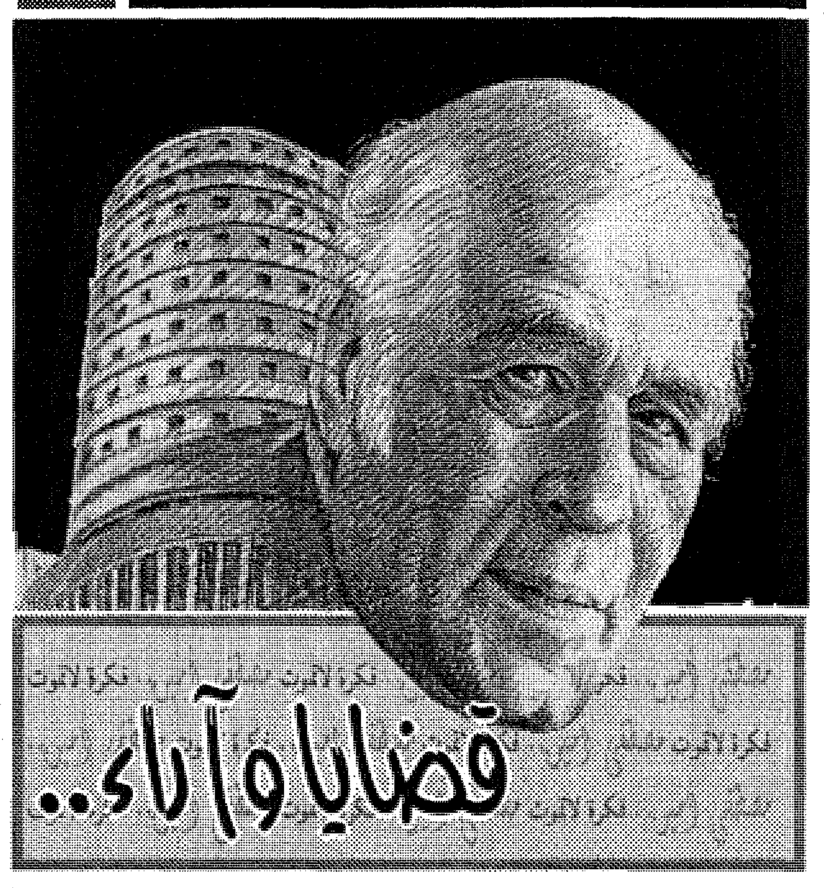
شادية أيضاً كانت صديقة وكان يجمعنا أنا وهي

وعبدالحليم صداقة من نوع خاص.. وأذكر أننا سافرنا يوماً نحن الثلاثة ومعنا حلمى رفلة إلى الإسكندرية فى سيارة عبدالحليم حافظ.. وأثناء الطريق اقترح رفلة أن يمثل الإثنان فيلم أكتب أنا قصته.. وتحمس عبدالحليم وتحمست شادية وأخرجت من حقيبتها نوتة صغيرة قدمتها لى لأكتب الخطوط العريضة للقصة التى اخترت لها نجمة الجماهير ثم أصبح اسمها بعد ذلك معبودة الجماهير.

ويستطرد مصطفى أمين قائلاً:

إن شادية من الشخصيات التى وقفت بجانبى فى محنتى، فبعد القبض علىّ أحضروها من الإسكندرية إلى مبنى المخابرات وحاولوا معها المستحيل حتى تدلى بأقوال ضدى لكنها لم تقبل أبداً ولم تنصاع للتهديد والوعيد، ولما يأسوا أخذوا يطلقون الشائعات عليها ويتهمونها بأنها هى التى أبلغت عنى حتى ينالوا من سمعتها وشعبيتها.

١١ مصطفى أمين .. فكرة لاتموت



القضايا الحوارية التى طرحتها فى لقاءاتى مع مصطفى أمين كثيرة ومتشعبة.. وآراء الرجل حولها تستحق الرصد والتسجيل.. ولكن أين المساحة التى تستوعب نشر كل هذه الآراء؟.. لذا حاولت نقل بعضها فى شكل برشامة متبعاً طريقة صحافة الأقراص على حد تعبير مصطفى أمين نفسه.

• كيف تنظر إلى المرأة؟

** المرأة هى مخلوقات الله.. والمرأة الجميلة على وجه الخصوص هى توقيع على مخلوقاته.

• صورة لعزيز تحتل قاع الذكريات؟

** صورة على أمين .

• جملة تدور على اسطوانة ذاكرتك كلما بدأت عملاً جديداً؟

** الاستفادة من الكوارث .

• امرأة كانت بمثابة الملاك الحارس لمصطفى أمين الإنسان؟

** أمى .

• حلم يقظة تمنيته لم يتحقق؟

** أن تتمتع الصحافة فى البلاد العربية بحرية الصحافة .

● نبوءة سخرت منها وحققتها الأيام؟

** عندما كنت سجيناً كانوا يطفئون الأنوار الساعة السادسة مساء.. فأجلس لأتخيل أشياء منها : لو استدعانى الرئيس جمال عبدالناصر.. وقال لى : كيف ننقذ مصر؟ .. فسأقول له الحل هو أن تقبض على عبدالحكيم عامر وشمس بدران وصلاح نصر وحمزة البسيونى إلى أن حدث فى يوم من الأيام أن فتح باب السجن ودخل هؤلاء .

● حديث تليفونى مازال رنينه فى أذنيك؟

** عندما كلمنى الرئيس جمال عبدالناصر وقرأ علىّ الإنذار البريطانى الذى وجهته فرنسا وإنجلترا لمصر.

● فيلم أبكاك من الأعماق؟

** كل فيلم يتضمن مشهداً لأم تودع إبنها أو إبنة تودع أمها أبكى.

● كتاب يشكل وجدانك؟

** القرآن.

● أغنية تهمس لنفسك بها ساعات؟

** الأطلال .

● فشل علمك النجاح؟

** كل فشل علمنى النجاح .

● موقف نبيل من شخص لم تكن تتوقع منه ذلك؟

** كثيرون وقفوا معى مواقف نبيلة ومشكلتى أننى غير قادر على أن أسدد ديونى لهؤلاء.. لكن على سبيل المثال أذكر

أن مصر ألغت صندوق الدين - فقد كان عليها دين للأجانب في صندوق.. وجاءت وزارة حسين صبرى باشا واتفقت مع الإنجليز على إلغاء صندوق الدين وكنت رئيساً لقسم الأخبار بجريدة الأهرام.. فحاولت أن أعرف تفاصيل هذه المعاهدة فإذا بى أعرف أن الحكومة المصرية والحكومة الإنجليزية اتفقتا على الإعلان في يوم واحد.. وحاولت كصحفي أن أسبق هذا اليوم فذهبت للوزير أحمد عبدالغفار باشا وقلت له أريد تفاصيل إلغاء صندوق الدين فقال ولو أن رئيس الوزراء حذرنا من أن الوزير الذى سيسرب هذه المعلومات للصحافة سيخرج من الوزارة.. إلا أنه أعطانى القانون ونشرته في الأهرام وغضب رئيس الوزراء جداً.. فقال له المنافسون أن الذى أعطى القانون لمصطفى أمين هو على أمين مدير مكتب وزير المالية فجاء رئيس الوزراء حسين صبرى في مجلس الوزراء وقال سأصدر قراراً بفصل على أمين.. فإذا بأحمد عبدالغفار يقول له : أنا الذى أعطيت مصطفى أمين الخبر وليس مدير مكتبى وهى شجاعة أذكرها له حتى الآن.

• الصحافة الحرة في رأيك.. ما هى؟

** هى التى تقول للحاكم ما يريده الشعب.. وليس أن تقول للشعب ما يريده الحاكم.

• كيف تنظر إلى العصر الحديث بكل أدواته وتكنولوجياته؟

** أرى العالم وكأنه أصبح قرية واحدة يتصنت من في

هذا البيت على ما يدور فى البيت المجاور.. ورغم الفائدة التى عمت بسبب هذا التطور العلمى إلا أنه كشف أسرار الناس.. وخدم الديكتاتورية وقضى على حقوق الإنسان فى احتفاظه بأسراره.

● وكيف ترى شباب اليوم؟

** شباب اليوم مجنى عليه لأننا ألغينا التاريخ وأوهمناه أن مصر لم يكن بها رجال قبل ذلك ولكن الواقع أنها كان فيها أبطال.. شباب اليوم لا يقرأ لأن الكتب غالية جداً.. ولذا فالحكومة يجب أن تدعم الكتاب كما تدعم رغيف الخبز.. بل إن الكتاب عندى أهم من رغيف الخبز ..

● وماذا كنت تحب فى شباب زمان؟

** روح الفروسية.. الشباب زمان كان لا يقبل أن يسمع شخصاً يهين سيدة أو فتاة ماشية فى الشارع.. كان كل شباب الشارع يضربون هذا الشخص.. واليوم لا يحدث هذا.

● رحلة لم تقم بها بعد.. ولأى مكان تكون؟

** القمر .

● الفرق بين صحافة زمان والآن؟

** زمان كانت الأولوية للمقال.. كان المقال يشغل الصفحة الأولى بأكملها أما الأخبار فتنتشر فى داخل الجريدة حتى بدأنا فى أخبار اليوم نهتم بالخبر ونضعه فى الصفحة الأولى ونقلنا المقالات إلى الصفحات الداخلية.. وكذلك أدخلت أخبار اليوم صحافة الأقراص.. أى صحافة الخبر الصغير والمقال

الصغير الذى يفهمه كل الناس.. وأيضاً الجملة الصغيرة التى يستوعبها القارىء بسرعة.

● هل هناك فرق بين الحب زمان والآن؟

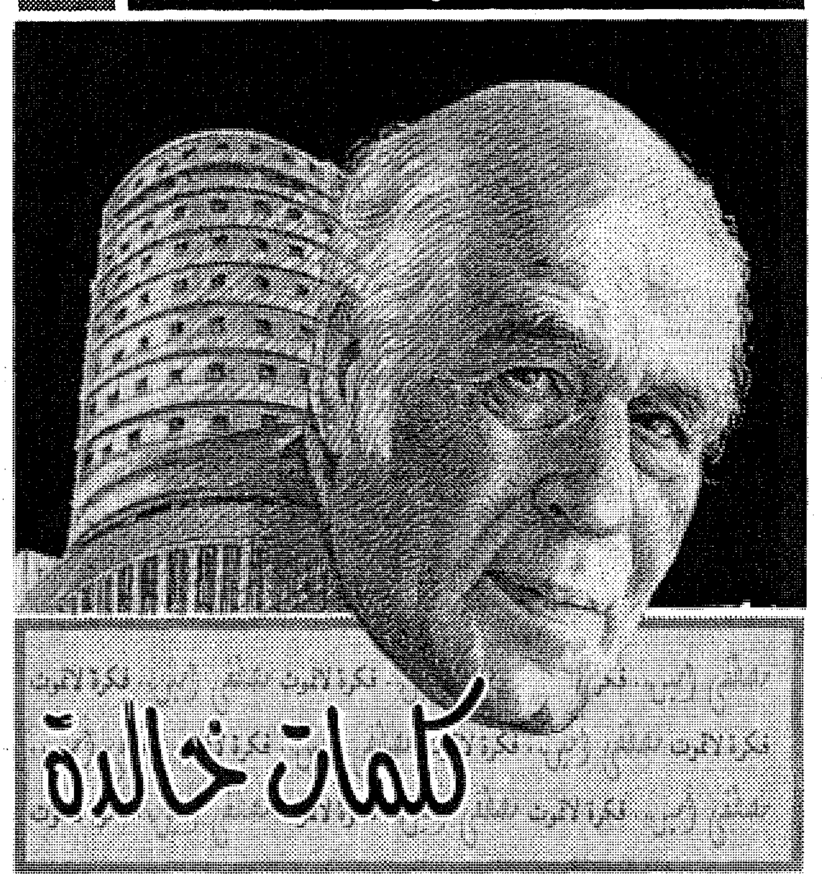
** طبعاً الآن الناس تحب بسرعة وتنسى بسرعة.. سرعة هذه الأيام جعلت الحب بلا عمق.. الحب هذه الأيام يطير لأن كلماته تأتى عبر التليفون فلا تعيش.. ولكن زمان كان الحب بالجوابات التى تمكث مع المحبين سنين طويلة وكلما قرأوا كلماتها يخفق القلب ويتجدد الحب.

● صديق تمنيت ألا تصادقه؟

** أدعو لهؤلاء بالشفاء لأنهم كالمرضى بالإيدز .

● كلام جرائد.. تعبير شائع.. ما رأيك؟

** ليس صحيحاً – الصحيح أنه كلام وزراء .


كلمات خالدة

إن عمر الـكاتب ليس بعدد السنوات التى عاشـهـا.. إنما بعدد الكلمات العظيمة التى سطرها. .

وهذه بعض كلمات مصطفى أمين التى ستبقى خالدة:

* الدنيا لا تفتح أبوابها للذين يعتمدون على آبائهم وإنما تفتحها للذين يحفرون الصخر بأظافرهم.
* من أجل أمى أحببت كل أمهات العالم.
*أستاذى هو الشعب.
* عندما لا توجد حرية لا توجد صحافة والعكس صحيح.
* الحرية تحمى الحاكم قبل أن تحمى الشعب.
* الحـريـة مـثل الوردة إذا وضعت فى غـرفـة لا تدخلهـا الشمس والهواء.. تموت.
* مهمة الصحف أن تقول للحاكم ما يريده الشعب قبل أين تقول للشعب ما يريده الحاكم.
* كل فشل علمنى النجاح.
* ساعة ظلم واحدة طولها ألف سنة.
* دموع الأمهات أقوى وسائل الإقناع.
* من عـادة الكذابين أنهم أضـعف الناس ذاكـرة وهـذا من

رحمة الله بالناس!

* البيوت السعيدة لا تبنى فوق تلال من أوراق البنكنوت إنها تبنى فوق الحب والتفاهم والصبر والتضحية والكفاح المشترك.

* أكثر الذين يجرون وراء المال يفقدون روحهم فى الطريق! وما أتعس الذين يعيشون بلا روح!

* مشاكل مصر لا تحل (بالهمبكة) ولا يحلها (بتوع كله) فهى مشاكل جاء بها الجهل ويجب أن يذهب بها العلم.

* مولد مطرب عظيم.. إنه يوم وفاة مطرب فاشل.

* كلمات الحاسدين لا تدفن ناجحاً.

* الرجل الناجح ليس رجلاً عادياً، الناجح يذهب إلى عمله كأنه ذاهب إلى موعد غرامى، وله هواية واحدة هى عمله.

* ما أسعد المرأة التى تقف بجوار الرجل وهو يحفر الجبل بأظافره ويصعد صخوره فى طريقه إلى القمة.

* ما أروع شعور المرأة وهى تحس أنها شاركت فى صنع مجد رجل إن لم يكن بجهدها وكفاحها وتشجيعها وتأييدها وصبرها وصمودها فعلى الأقل بسكوتها.

* الشتائم ضريبة النجاح.

* رحلة إلى الخارج تساوى قراءة ألف كتاب!

* إخفض صوتك حتى أقتنع برأيك!

* القلوب أحياناً تبصر أحسن مما تبصر العيون!
* إنسان اليوم مصنوع من قماش مغشوش.
* نحن فى حاجة إلى رجال يستقيلون وإلى صحف تنشر نص الاستقالة!
* ليس العيب عيب الفقير وإنما عيب الذين أفقروه.
* ليس ذنبك أن بذورك لم تثمر وإنما هو ذنب الأرض المجدبة.
* الحب يحيى القلب والكراهية تميته.. الحب قوة والكراهية ضعف.. الحب نور والكراهية ظلام.
* الذين لم يحبوا أبداً لم يعيشوا أبداً.
* من حقنا أن نحب ولكن ليس من حقنا أن نطالب أحداً أن يدفع ثمن هذا الغرام!
* لن نسمع الطرق على الباب إلا ونحن نكافح ونعمل ونجاهد ونشقى!. . أما الذين لا يعملون فهم «طرش» المستقبل.
* يجب أن تعمل وأنت فوق أضعاف ما كنت تعمل وأنت تحت.
* الذى يعتقد أنه وصل إلى قمة النجاح هو الذى يبدأ فى الهبوط.
* إيمانى هو عمودى الفقرى.
* لا يمكن إطفاء الشمس بقرار ولا يمكن إحالة النجوم فى

السماء بقرار وكذلك لا يمكن إحالة الكاتب أو الفنان إلى المعاش.

* المواهب مثل ضوء الشمس لا تستطيع أى يد أن تطفىء نورها أو تمنع إشعاعها.

* متى يعرف أنصار الظلام أن أحداً لن يستطيع إطفاء الشمس ؟

* الزوج الذى سيأكل الجاتوه فى الإفطار والغداء والعشاء سيهرب من البيت.

* الوزير الذكى هو الذى يعمل فى وزارته وكأنه سيخرج غداً.

* انتصار الشعب دائماً هو انتصار للحكومة الديمقراطية.

* الفقر ليس عيباً، وإنما هو شرف لمن يكافحون!

* طه حسين قال التعليم كالماء والهواء وأصبح كالكوكاكولا.

* ستبقى أم كلثوم دائماً ذلك البساط السحرى الذى يحملنا من آلام السهد وعذاب الفراق إلى حلاوة القرب وجمال اللقاء.

* الكاتب الموهوب لا تسكته رصاصة، يموت صوت الرصاص وتبقى كلماته تدوى.. سيدفن جسده فى قبر وستعيش أفكاره وآراؤه ولن تدفن فى القبر معه..

* الكلمة أقوى صوتاً من القنبلة، والرأى أبعد أثراً وأشد

فتكاً من طلقات المدفع الرشاش.

* القلم فى يد كاتب شجاع أعظم من الصولجان فى يد ملك!

* كل ضربة تلقيتها فى ظهرى دفعتنى إلى الأمام.

* العواطف الطبيعية هى أشبه بالمراهم فوق الجروح الدامية أنها لا تمنح الشفاء ولكن تعطى الصبر وتقوى الإيمان.

* المصاعد التى تحمل المحاسيب إلى الأدوار العليا لا تعمل أبداً إلا فى الظلام.

* كل يد تمتد لمساعدة امرأة عجوز أو رجل مسن تعطيه عمراً جديداً!

* الدول العظيمة صنعها عشاق عاملون.. وأضاعها الكسالى المتفرجون.

* القوانين التى نكتبها بروح الماضى لا تصلح للحاضر ولن تصلح للمستقبل.

* كلما كثرت الحفر فى طريقك، كان النجاح أكبر وأعظم! المهم أن تمضى فى الطريق.

* أمام كل واحد منا حفرة فى حياته.. الفاشل يقف أمامها والناجح يعبرها أو يقفز من فوقها.

* المعارضة القوية لا تضعف الحكومة فى البلد الديمقراطى بل تزيدها قوة.

* الرحمة فوق العدل والإنسانية فوق القانون.
* الذى فى يده السكين لا يشعر بألمها إلا بعد أن يذبح بها!
* فى الاستبداد يولد الأقزام ويحدد طول قامة الكاتب.
* من حسن الحظ أن الذين يطلقون الأسماء على الشوارع لا يكتبون التاريخ!
* لا نريد الفراعنة الصغار، ولا المستهترين الكبار!
* الحياة بغير حب عدم.. والذين لم يعرفوا طعم حب أمهاتهم لم يذوقوا أحلى شهد خلقه الله.. والذين لم يستمتعوا بحب نسائهم كالذين لم يذوقوا السكر.. والذين لم يحسوا بحب الأصدقاء كالذين يشربون دائماً من البحر المالح!
* الإنسان حيوان يحب.. والمخلوق الذى لا يحب هو حيوان مفترس.. والحيوان الذى يحب هو أقرب المخلوقات إلى الإنسان.
* أنا أشعر وأنا أمسك قلمى أننى أعانق أجمل امرأة فى العالم، ولهذا عشت قصة حب طويلة ولا أتصور أننى أعيش يوماً فى حياتى بغير قلم، فلقد كان هذا القلم دائماً صديقى وحبيبى أعطيته وأعطانى وعشقته وأخلص لى وعندما أموت أرجو أن يضعوه بجوارى فى قبرى، فقد أحتاج إليه إذا كتبت تحقيقاً صحفياً عن يوم القيامة.
* عندما تدير لى الدنيا ظهرها لا ألعنها.. إننى أجرى

وراءها لألتقى بوجهها الضاحك.

* الإيمان ينتصر على المرض.. يعطى للأعمى عيناً يرى بها، وللمقعد ساقاً يمشى بها، وللفقير أموال الدنيا كلها! أطلب من الله الإيمان.. إنه بذلك يعطيك كل شيء!

* تولد الأفكار الكبيرة من احتكاك الآراء ومن الحوار والمناقشات.

* الليل حليف المجرمين واللصوص وقطاع الطرق والنهار صديق الشرفاء والأمناء الشجعان.

* العظيم الواحد فوق قمة الجبل يموت من الوحدة!

* عندما نهدم عبقرياً واحداً لا نهدمه هو وحده وإنما نهدم عصراً بأكمله.

* عظيم واحد وحوله عدة أصفار يحول العظيم إلى صفر عظيم.

* الورثة لا يصنعون الملايين وإنما ينفقون الملايين.

* الفتاة عادة تكون صورة فوتوغرافية من أبيها.. وأسطوانة فوتوغرافية من أمها!

* لا تقترض من صديقك حتى لا تهرب منه.. ولا تقرضه حتى لا تضطره للهرب منك!

* لا تلعن الزمن.. فإنه إذا أخذ منك اليوم دموعك فإنه سيعطيك غداً بسماته وضحكاته.

* افتح قلبك لحب الناس فالحب هو إكسير الحياة إنه

يطيل العمر ويمسح التجاعيد من الوجوه والقلوب.

* الحياء جزء هام من الحب وعندما يختفي الحياء.. يتحول الحب من طبق ساخن لذيذ إلى دندرمة ساخنة!

* إن الإيمان ممكن أن يكون عيوناً لنا إذا أغمضنا عيوننا!

* الفشل ليس نهاية الطريق وإنما هو بداية الطريق!

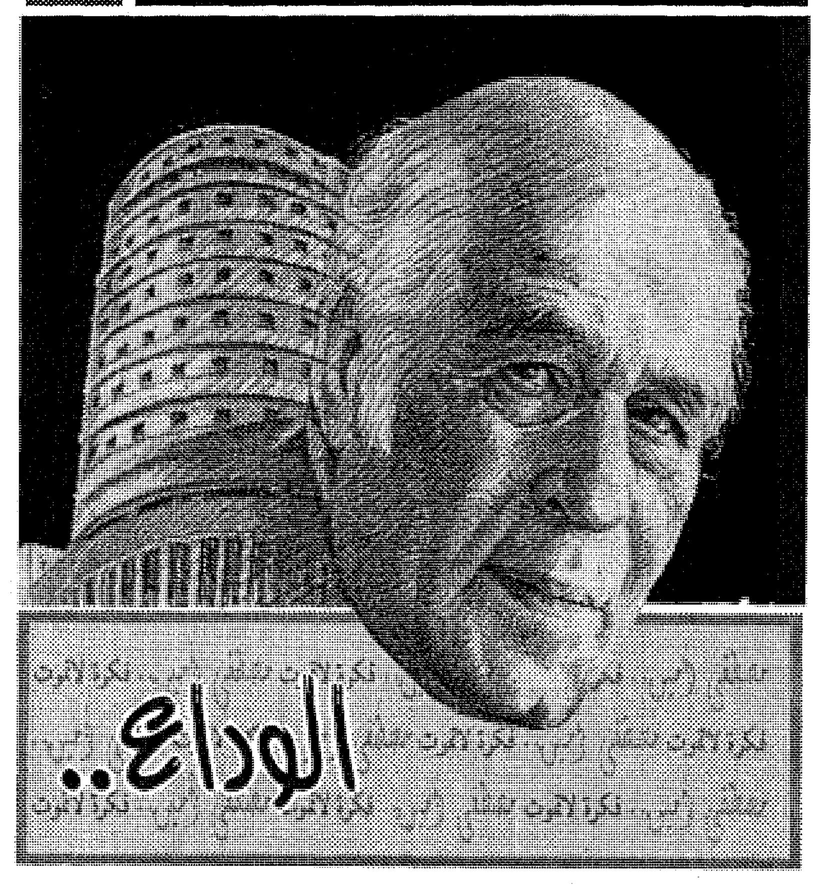
* من يؤمن بالحرية والديمقراطية لا يمكن أن يتعصب ضد جنس أو دين.

* أرض وطنى هى لحمى الحى.

* السلام يحل بعض مشاكلنا ولكن الذى يحل كل مشاكلنا هو العمل الكثير.

* الأيام فى ظل الحرية تنطلق كأنها صاروخ.. والوقت فى ظل الزنزانة لا يتحرك وكأنه يركب سلحفاة!

* لو أن كل ظالم عرف أن قصة ظلمه ستنشر فى يوم من الأيام لتردد ألف مرة قبل أن يبطش ببرىء!


الوداع..

ونفذ قضاء الله، ولبى الفقيد نداء ربه، ورحل مصطفى أمين.

ومن عجائب الأقدار أن تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها فى نفس الشهر الذى توفى فيه شقيقه وتوأمه ورفيق رحلة كفاحه على أمين الذى توفى يوم ٤ أبريل ١٩٧٦.

وكأن شهر أبريل أبى إلا أن يحتفظ لنفسه داخل سجلات التاريخ بذكرى وفاة التوأمين على ومصطفى أمين معاً بفارق زمنى بينهما ٢١ساعة.

صعدت روح مصطفى أمين إلى بارئها فى الساعة الخامسة والربع من مساء الأحد ١٣أبريل ١٩٩٧ بعد صراع مع المرض إستمر أكثر من ثلاثة أشهر، عانى خلالها من الإلتهاب الرئوى وأزمة قلبية وارتفاع فى السكر..

ويشاء القدر أن تتحسن صحته فجأة، ولكن إرادة الله نفذت فى موعدها.

وفى مظاهرة حب ووفاء نادراً ما شهدتها شوارع القاهرة ودعت مصر بكل فئاتها وطوائفها مصطفى أمين.. حيث شيع جثمان الفقيد الكبير ظهر يوم الأثنين ١٤أبريل من دار أخبار اليوم بناء على وصيته.. وفى مسجد جمعية الشبان المسلمين

أقيمت صلاة الجنازة على جثمانه وخرج يلفه الآلاف من المواطنين الذين أوصلوه إلى مثواه الأخير فى مقابر الأسرة بمنطقة الإمام الشافعى.

وأقيم سرادق العزاء مساء نفس اليوم أمام دار آخبار اليوم وهى نفس المراسم التى جرت مع شقيقه الراحل على أمين قبل ٢١سنة.

ولد الشقيقان معاً.. على يسبق مصطفى بخمس دقائق، والذى أسرع فى الخروج للدنيا كان أسرع فى الخروج منها.

هكذا انتهت الرحلة ورحل العملاق صاحب وناظر المدرسة الحديثة للصحافة العربية.

مات مصطفى أمين..

وإذا كانت أعماله الخيرية ستظل شاهدة على عطائه وحبه للناس، وحب الناس له فإنه أبى ألا يغادر الدنيا قبل أن يضيف إلى فروع شجرة الخير التى غرسها فرعاً جديداً يتمثل فى وصيته التى حررها قبل خمسة أشهر فقط من وفاته:

أوصى إخوانى وتلاميذى وأصدقائى بأن يذهب ريع جميع أموالى لليلة القدر، ويصرف منها على الفقراء والمرضى والمحتاجين، كما كان يحدث فى حياتى، وتستمر جميع أبواب ليلة القدر فى العمل ولا تتوقف يوماً واحداً، وأن يحافظ تلاميذى على مشروع ليلة القدر وأبوابه ليبقى صرحاً شاهقاً فى خدمة المسحوقين والمنسيين، وأن يبقى شامخاً مستقلاً فلا تستولى عليه الحكومة أو وزارة الشئون الإجتماعية.

وأرجو أن تنشر أخبار اليوم كل أسبوع باب الدنيا بخير وتسجل كل قرش تلقته ليلة القدر حتى يطمئن الفقراء على أموالهم ويطمئن الناس على أن الدنيا بخير..
وأرجو أن يستمر النشر فى صحف أخبار اليوم عن «ليلة القدر» و«أسبوع الشفاء» و«لست وحدك» كما يحدث الآن.
أوصى أن يستمر مجلس إدارة ليلة القدر ومجلس إدارة جمعية جوائز مصطفى أمين وعلى أمين للصحافة على تولى إدارة المشروعين بما عرفت عنهما من أمانة وكفاءة وإيمان وأنا على ثقة أن هذين المجلسين سيواليان المسيرة من بعدى.
أما معهد ليلة القدر للأيتام فأرجو أن يبقى كما هو ويزداد عدد الأطفال المقبولين به حتى يصبح مثلاً للإهتمام بالتعساء الذين فقدوا آباءهم وأمهاتهم، وأن يبقى مجلس الإدارة الخاص به لإدارة رسالته السامية وبفضل أهل الخير بالتعاون مع أصدقائى، وقد دبرنا الاعتمادات المالية اللازمة لتكوين احتياطى لهذه المشروعات وإننى على ثقة بأن ليلة القدر ستبقى إلى الأبد بفضل تبرعات وتدعيم أهل الخير.
وأوصى بأن تتولى شريكتى فى الحياة السيدة إيزيس طنطاوى تنفيذ هذه الوصية.
هذه هى وصيتى لتلاميذى وأصدقائى وقرائى وزوجتى والله على ما أقول شهيد. وأثق أن الله سيبقى معكم ويشد أزركم وأدعو لكم بالتوفيق.

١١ نوفمبر ١٩٩٦

مصطفى أمين

هكذا عاش ومات مصطفى أمين الإنسان الذى قال:

المؤمنون يلتقون بالله خمس مرات كل يوم وإنما ألتقى بالله مع كل نبضة من نبضاتى.. مسجدى هو قلبى.. لاأعبد الله خوفاً وإنما أعبده حباً، لا أحمده بلسانى، وإنما أحاول أن أساعد المعذبين من مخلوقاته وهذا يشعرنى دائماً أننى قريب من الله، فقد رأيت معجزاته فى عصر اللامعجزات.. أحسست بيده تحمل لى كوب الماء عندما حرمونى من الشرب فى يوليو.. رأيت نور الله عندما أحاطونى بالظلم والظلام.. وقف الله بجانبى عندما تخلت عنى الدنيا.. كل يوم من أيامى هو شهر رمضان أصوم فيه عن إيذاء الناس وإذلال الضعفاء والسجود أمام الأقوياء.

مات مصطفى أمين الذى سألته ذات مرة:

لو عاد الزمن بمصطفى أمين كل هذه السنوات وكل هذه الرحلة مع الحياة ما هو العمل الذى لا تقبل أن تقوم به.. وما هو العمل الذى كان يجب أن تفعله؟..

فقال: لو عاد الزمن لارتكبت نفس الأخطاء لأن كل عمل عملته أنا مقتنع به تماماً.

ياعاشقَ الحرفِ.. دمعُ الحرفِ يُدمينا

من بعدك الآن بالأحلامِ يروينا

لم تَغْرُبْ الشمسُ يوماً عن شواطئنا

مادمتَ تحمل نايَ الحبِ.. تُشجينا

فاروق جويدة